المشرق

الكتاب المقدس والكنيسة الارثوذكسية

بحث لاهوتي تاريخي للاب انطون رباط اليسوعي

في ١٥ حزيران سنة ١٩٠٩ اصدرت البطريركية الانطاكية الارثوذكسية في دمشق العدد الاوّل من مجلّة دينية علمية اخلاقية دعتها « النعمة » وافتتحها غبطة السيد البطريرك غريغوريوس برسالة رعائية ضافية الاذيال قدّم فيها المجلة الطائفية للاكليروس والشعب المسيحي ووصف غايتها التي هي « نشر حقائق الايمان وبثّ روح المحبة واحياء ميت الرجاء بتقدم المادة في دورها هذا » (صفحة ٨) وجاء في المقدّمة ان الكرسي الانطاكي كان في حاجة لمجلّة « تنوب عن احواله وتخدم ابناءه بنشر ما تختاره لهم من جليل الفوائد وجميل المباحث جامعة بين خدمة الدين والادب والدولة والوطن » وهي تبحث عن العقائد والعلوم والآداب وتنشر الحكم والمواعظ والاخبار مطبوعة في مطبعة البطريركية الانطاكية . وأوّل مباحثها هي الدينيات « تشمل البحث في العقائد وتاريخ الكنيسة ونظامها والآداب المسيحية وشرح الطقوس والعادات الكنسيّة وما شاكلها » اه

نرحبنا بالرصيفة الجديدة وبالمقالة الافتتاحية التعليمية الاولى التي اصدرتها في عددها الثاني والثالث عنوانها « قانون الاسفار المقدّسة » وعكفنا على مطالعتها بشوق لخطارة الموضوع ألا وهو البحث في كتب الله المقدّسة التي تقدر كما كتب بولس لتيموثاوس في رسالته الثانية (٣ : ١٥) « ان تصيّر [الانسان] حكيماً للخلاص بالايمان بالمسيح يسوع لان الكتاب كلهُ قد أوحيَ بهِ من الله وهو مفيد للتعليم وللحجاج

وللتقويم وللتهذيب بالبرّ » وكان رجاؤنا الاستفادة آملين ان نقرأ بحثًا مدققًا يتتبّع فيه الكاتب تاريخ الشرق المسيحي ويثبت بالبرهان قانونيّة تلك الكتب المقلة . وكلّ يعرف انّ البروتستانت انكروا قسمًا منها في القرن السادس عشر فقامت عليهم كنائس الشرق والغرب فزيّفت بدعتهم والتأمت المجامع الارثوذكسية في القسطنطينية وياش والقدس الشريف فقضت عليهم بالحرم حتى جاز لها ان تقول « ان الكنيسة الارثوذكسية قد حافظت على هذه الوديعة سالمةً كما تسلمتها من الرسل الطاهرين دون ان يطرأ عليها شيء » كما جاء في مقدّمة المقالة

وقد كنّا قيّدنا ما اقتبسناه من مطالعتنا للكتب والنصوص الخطية شذرات وشهادات تعرب عن صدق معتقد الطائفة الارثوذكسية من القرن السادس عشر الى يومنا في مسألة قانون الاسفار الالهية وانها ناضلت عنها جيلًا بعد جيل بصوت مجامعها وبطاركتها واساقفتها وكتبتها الممتازين حتى كنا نعتبر نتيجة درسنا وتنقيرنا حقيقة راهنة لا ينكرها كاتب

وما اشدّ ما كان استغرابنا عند ما رأينا صاحب المقالة التعليمية الدينية الاولى — وقد اغفل اسمهُ — قد كتب ما كتب في مجلة النعمة دون تروٍّ كأنه فانكر وحي قسم مهمّ من الكتب المقدّسة جارى في ذلك الهراطقة الذين حرمهم آباؤهُ ودحضوا اضاليلهم . واي ضلال اضلّ من انكار وحي الله للبشر ونبذ رسائله الالهية التي تعطف فبعث بها الى كنيسته المقدّسة كنزًا ثمينًا قاعدة للايمان وينبوعًا للخلاص

على ان الكاتب الارثوذكسي الاديب لم يلقِ بنظره الى التعاليم والمقالات والمجامع التي تركها لهُ آباؤهُ القريبو العهد . ولو فعل لاقتبس منهم في موضوعه فوائد جمّة ولم يحد عن جادّة الحقيقة . لكنه اقتصر على كتاب او كتابين جعل قولهما حجّة رضيها نقل نصوصًا لبعض الآباء ولم يميز بين زمن الجدال الذي حدث في شأن هذه الاسفار وبين الاجيال السابقة واللاحقة . فذكر ١٥ شاهدًا الى القرن التاسع وقفز منهُ الى السابع عشر ضاربًا صفحًا عن كل ما جاء خلافًا لمدّعاه من صريح الشهادات التي لا تحصى . كما انهُ لم يفرق بين اقوال الآباء في مباحثهم مع اليهود حيث يُلجأون الى الشهادات المقبولة من الخصم ويضربون صفحًا عما سواها

واذ ثبت في رأيي . الكاتب وزعمه نكران الوحي الالهي لعدد من الاسفار جعل

يؤوّل اقوال الجامع على ما يشأ فاذا ذكر القانون الخامس والثمانين من قوانين الرسل وقرأ هناك في عداد اسفار العهد القديم اسفاراً أخر لا يرضى بوحيها اخيرًا «ان النص الواضح يُبطل ان هذا التعداد جاء لتعيين ما يجدر بالاكليروس والشعب اعتباره ولم يجئ لسرد تأصيل قانونية تلك الكتب... وان الحليق بالمسيحيين ان يتصفّحوها «علاوة» (كذا) على الكتب القانونية». وهو بذلك لا شارح ولا مفسر للمجمع لكنه مختلق لنص من قلمه الخاص

وان الح الى مجمع قرطجنة جهل او تناسى ان مجمع القبة (In Trullo) — الذي يلحقهُ الروم بالمجمع السادس المسكوني ويعتبرونهُ قسماً منهُ له ما للمجمع السادس من الالزام الاعتقادي (١) — قد اثبت قانون قرطجنة ايضاً فاصبح هذا القانون قاعدة وحكماً مجمعياً مسكونياً واعلنت حضرته ان «النص يعلن (في مجمع قرطجنة) ان البيان منصرف الى تعداد الكتب المفيدة للمطالعة والتلاوة في الكنيسة» بيد ان نصهُ الصريح هو هذا: «لا يجوز ان يُقرأ في الكنيسة شيءٌ تحت اسم الاسفار الالهية خلا الاسفار القانونية. اما هذه الاسفار القانونية فهي للعهد القديم: سفر التكوين... خمسة كتب سليمان... وطوبيا ويهوديت وسفرا المكابيين (٢)» فاي نص اصرح وابين؟ وكيف لم «يتضح جلياً» هذا الامر لحضرته واتضح لهُ جلياً نقيضه؟

وان عرّض باقوال الاباء اجاب مسلّماً «بورود ذكر قانونيّة الاسفار التي ينكرها في مؤلفات بعض علماء الكنيسة ومعلميها الغربيين القدماء» وفسّر كلامهم كما شاء بلا سند خلا مدّعاهُ الذي يعتبرهُ حجّة

وهنا نحن في دهشنا اذ جاءتنا مجلة «الكلمة» الارثوذكسية المطبوعة في نيويورك لمنشئها سيادة الاسقف وفائيل هواهيني فرأيناها في عدد ١٥ اب ١٩٠٩ تضرب على وتر «النعمة» وان اختلفت مقالة هذه عن تلك ببعض الاختلاف. فان «الكلمة» تسلّم قائلةً:

---

١) هذا برهان السلامة الارثوذكسي قسطنطين اوكونوموس في كتابهِ المستير الذي ألّفهُ في الترجمة السيمنية وصدّرهُ البطريرك اثيموس السادس برسالة قال فيها: انا نثبت هذا الكتاب لانهُ يحتوي بدون غشّ التعليم الطاهر في الارثوذكسيّة

٢) الطب مانسي: مجموعة المجامع المجلد ٣: العمود ٩٢٦ والمجلد ٤: العمود ٤٣٠

« ان اعاظم اباء الكنيسة ومعلميها الاقدمين كانوا يستشهدون في مؤلفاتهم بعبارات كثيرة من الاسفار الغير القانونية [على رأيه ولكن على رأينا ورأي الكنيسة الارثوذكسية قانونية الهية كما سترى] لا بل كثيراً ما كانوا لدى ايرادهم شهادة منها يقولون : « قال الكتاب او قال الكتاب المقدس » هكذا ترى شهادات كثيرة مأخوذة من سفر طوبيا في مؤلفات اكليمس الاسكندري وكبريانوس واوريجانيس وابرونيموس وافسطينوس . ومن سفر يهوديت في مؤلفات اكليمس اسقف روية وترتليانوس وابرونيموس وافسطينوس وغيرهم . ومن سفر حكمة سليمان في مؤلفات ايريناوس واكليمس الاسكندري واوريجانيس وكبريانوس وابيفانيوس وايلاريوس . ومن اسفار المكابيين في مؤلفات غريغوريوس اللاهوتي ويوحنا الذهبي الفم فضلاً عن ان الكنيسة في اول شهر آب تعيد لتذكار القديسين السبعة الفتية المكابيين واسم سلموني (كذا) ومعلمهم الماجور (٢ مكا ٧ : ٢١)

فاين هذا العدد من الآباء الشرقيين والغربيين امام ما ادّعاهُ كاتب « النعمة » فذكر مستهتراً « بعض علماء الكنيسة الغربية » . ونحن نريد عليهم القديسين بوليكربوس وهيبوليتوس وديونيسيوس الاسكندري وغريغوريوس العجائبي ومتوديوس وهيلاريوس وافرام وباسيليوس الكبير وكيرلس الاورشليمي واوبتاتوس وكيرلس الاسكندري الخ الخ

فالنتيجة المستخلصة من هذه المقدّمة حقُّها ان تكون ان هذه الاسفار هي الهية قانونية لان اعاظم الاباء والمعلمين الاقدمين يستندون اليها براهينهم التعليمية الاعتقادية ويصفونها بالكتاب المقدس ويصدّرون نقلهم لاياتها بقولهم : « قال الكتاب المقدس » و « قال الروح القدس » و « هكذا يعلمنا الروح القدس » و « هذا ما نقرأ في الكتب الالهية » . لكنهُ لما اعتبر الكاتب مبدأه امراً مسلّماً به لا يُنكَر اغفل كل التتائج ولم يستخلص منها الا ما وافق رأيه وزعمه . هذا والحق يقال من اغرب المبادئ المنطقية

وبعد ان استشهد صاحب مقالة النعمة بخمسة عشر شاهداً حتى القرن التاسع اعتبرهم مثبتين لرأيه الحقهم بشهادة سادسة عشرة لتروفانوس كريتوبوليس في القرن السابع عشر ثم قال : « ان هؤلاء الثقات احصوا جميعاً كتب العهد العتيق القانونية اثنين وعشرين كتاباً واجماعهم في ذلك حجة قاطعة تعلن ان الكنيسة الشرقية كانت وما برحت معتصمة بقول واحد لم تقل سواه ولم يعرض عليه تغيير »

*

(قلنا) والحقيقة هي نقيض دعواه وهي ان الكنيسة الشرقية كانت وما برحت معتصمة بقول واحد لم تقل سواه ولم يعرض عليه تغيّر حتى ايامنا هذه — اللهم خلا ما تجرّأ عليه الكتبة المتشربون المبادئ البروتستانية — ألا وهو قبولها الاسفار التي

انكرها صاحب المقالة « كاسفار قانونية مقبولة من الكنيستين الشرقية والغربية مثبتة منها كقسم من اجزاء الكتب الالهية ». وقد شهد بذلك صاحب المقدّمة على « كتاب تكملة الكتب المقدّسة القانونيّة التي طبعت في بيروت سنة ١٨٧٠ في المطبعة الوطنية باذن غبطة كيريوس ايروتيوس بطريرك انطاكية وسائر المشرق بنفقة اصحاب الغيرة قدس الاب مكاريوس الرملي رئيس دير سيدة تاطور وحضرة كير ايواني بابادوبولس باش كاتب الكرسي الرسولي الانطاكي »

ولا يجب بتروفانوس كريتوبولوس امام ما سنذكرهُ من الشهادات عن صدق الامانة الشرقية متتبعين الآثار التاريخية الى أيامنا مدافعين عن هذه الامانة التي سعى الساعون ليبدلوها بشارة جديدة لم تأتهم من الرسل ولا من الاباء الطاهرين. ثم نعود في فرصة أخرى ان شاء الله الى قانون الاسفار الالهية وننظر فيه نظرًا تعليميًا متتبعين اقوال الجامع والاباء فيظهر للقرّاء « صدق قانونية اسفار الله التي انكرها المراطقة نهاية في الصدور » كما قال ميلاثيوس سيرغوس الارثوذكسي وذلك لانهم وجدوا فيها الاعتقاد بشفاعة القديسين والصلاة لراحة الموتى وهم لا يرضون بها (١)

*

﴿ موضوع البحث ﴾ في مقالتنا هذه نتحرّى اثبات قضيتنا المناقضة لما جاء في مجلة « النعمة » الارثوذكسية وهي قولنا: ان الطائفة اليونانية كانت ولا تزال تعتقد بصدق قانونية الكتب التي دعاها الكاتب « كتبًا كنسية او كتب التلاوة » التي هي على زعمه « غير داخلة في قانون الاسفار الالهية » وليست « بوحي الله على محض التنزيل » وان كانت « مفيدة وجديرة بكل اكرام واحترام » او بلفظ آخر بدعي انها كلام البشر لا كلام الله بينما الكتب التي قبلها هي بالحقيقة كلام الله. اما نحن فنقبل هذه الاسفار ككلام الله هي وسائر الاسفار المقدّسة على حدّ سواء في الاكرام ونعتبرها قانونًا للحقيقة لا يتغير

ولا نريد الان ان ننظر في اقوال الاباء وندافع عن معتقدهم في قانونية الاسفار المنكرة. ذلك موضوع يستغرق مقالة برمّتها فلجنه الى عدد آخر لكن غايتنا اليوم ان

---

(١) اطلب كتابهُ صفحة ١٥٥ Κατὰ τῶν καλβινικῶν κεφαλαίων καὶ ἐρωτήσεων Κυρίλλου τοῦ Λουκάρεως ἀντίῤῥησις

نبين شطط من ادّعى ان الطائفة اليونانية كانت ولا تزال تنكر قانونية هذه الاسفار وذلك تملّا عما تسلّمته من الاباء الاقدمين والتقليد الكنسي المتواصل الذي جاهرت به مرارًا من القرن السادس عشر الى ايامنا

﴿ قانون الاسفار الالهية ﴾ قانون κανών كلمة يونانية معناها القاعدة استعملها ايضًا كتبة القرن الرابع بمعنى الجدول كمرادفة لكلمة κατάλογος فضمّت المعنيين معنى الجدول ومعنى الرسم او قاعدة الايمان فقالوا قانون الكتب الالهية اي مجموعة او جدول الاسفار المقبولة من الكنيسة كاسفار منزلة الهية قاعدة ونظام الحقيقة التي اوحى الله بها. وقالوا كتاب قانوني اي داخل في هذا الجدول ومن ثمّ جدير ان يكون قاعدة للحقيقة لانهُ موحى به من الله (١

وهذا القانون قسمان: قسم يختص باسفار العهد القديم وقسم باسفار العهد الجديد. وكلامنا الان عن العهد القديم الذي تعرّض لهُ الكاتب الارثوذكسي (٢

وقانون العهد القديم قد اعتاد المؤرخون تمييزهُ الى قسمين قسم لهُ اصل عبراني محفوظ في توراة يهود فلسطين يقبلهُ اليهود والمسيحيون بغير جدال ويستعملهُ الاباء القديسون في مباحثهم مع اليهود وهو القسم الذي رضي به صاحب « النعمة ». وقد سمّى الاباء اسفارهُ ἀναλογούμενα اي الاسفار التي لا مناظرة فيها يرضاها الجميع. وسمّاها كتبة القرن السادس عشر (protocanoniques) اي القانونية الاولية. وقسم لم يحفظ نصّه العبراني الاصلي او أُوحي به باللغة اليونانية فحُفظ في الترجمة السبعينية فقط وعليهِ حدث جدال نظري في القرن الرابع للمسيح بين الكتبة الكنسيين لثبات قانونيته او عدمها. وهذا القسم يُدعى باليونانية ἀντιλεγόμενα اي الاسفار التي يُجادل في صدق وحيها. وقد دُعيت في القرن السادس عشر (deutérocanoniques) اي القانونية الثانية تمييزًا لها عن الاولى

---

١) اطلب القاموس الكتابي (Dictionnaire Biblique) وقاموس الدفاع عن الدين (Dictionnaire Apologétique) الذي ينشرهُ تباعًا عدد من اعاظم الكتبة تجد هناك بحثًا طويلًا في المعنى اللغوي والتاريخي لكلمة قانون

٢) وقد ذكر الكاتب قانون العهد الجديد وعدد اسفاره فنسي عمدًا او سهوًا سفر رؤيا يوحنا وهذا من الغرابة بمكان

وهنا نلاحظ ان الاباء الذين شكوا نظرياً في وحي بعض الاسفار ما زالوا يحفظون التقليد المتابع في مقالاتهم باستعمالها برهاناً تعليمياً هي والاسفار الاولى على حدّ سواء. وما زالت تنكشف الرغوة عن الصريح الى ان تغلّب الرأي العام في الكنيسة الجامعة على رأي بعض الافراد واثبتت المجامع قانون الاسفار الالهية كما جاء في النسخة السبعينية

وكانت المباحثة قد هدأت او بالحري قد انطفأت منذ اجيال ورضي الجميع نظرياً وعملياً بقانونية الاسفار الثانية إذ قام في القرن السادس عشر هامتا البدع الحديثة لوثير وكالوين فشنّا الغارة على كتب الله وابطلا قسماً منها في التعاليم خلافاً لمعتقد الكنيسة الشرقيّة والغربية. فوقف في وجههما اباء المجمع التريدنتيني المسكوني القدّس فحدّدوا جدول الاسفار القانونية المقبولة في كنيسة الله تحديداً نهائياً واولوا الحرم على كل معاند وقرّروا ان هذه عقيدة لا ريب فيها لا ينكرها الّا المبتدع الهرطوقي. وحذت الكنيسة الارثوذكسية حذو الكنيسة الكاثوليكية رغماً عمّا بينهما من الخلاف فاقرّت بنفس الجدول او القانون وحرمت من يخالفهُ

﴿ اسفار قانون العهد القديم ﴾ لا نجد في اسفار العهد الجديد جدولاً رسمياً للكتب الالهية القديمة المسلمة صباتها للكنيسة المسيحية. لكن المخلص والرسل قد استشهدوا مراراً بآيات كتابية فجاءت شهادتهم اوّل برهان لتنزيل الكتب المستند اليها. ومن تصفّح الانجيل الطاهر والرسائل وجد الكتبة الالهيين كثيراً ما يأتون بالنصوص النبوّية القديمة التي قال المخلص انهما تشهد لهُ (يو ٥: ٣٩). وقد ينقل الرسل النصوص الالهية تارةً بالحرف وتارةً بالمعنى او يلمحون اليها تلميحاً فاذا جمعت هذه النصوص استخلصنا منها نتائج كتابية جمة منها معرفة ما اعتبرهُ كليسة الله وحافظو تعاليمه منزلاً الهياً (اطلب المجلد الثالث من الكتاب المقدّس المطبوع في مطبعتنا ص ٤٦٥–٤٨٣). وهذا الدرس اتبعهُ عدد من الكتابيين العلماء متتبعين كلًّا من الاسفار المحفوظة في الترجمة السبعينية

وتلا الاباء تاوهم واتقنوا اثرهم في اسنادهم التعاليم الخلاصية الى المجموعة السبعينية كما استندوا من الرسل والتلاميذ لكنهم اذا جادلوا اسرائيلياً استندوا قولهم الى ما لا جدال في إثبات وحيهِ وهكذا تحلّ اكثر المشاكل الناتجة عن بعض النصوص المبهمة

﴿ عدد الاسفار القانونية الاولى ﴾ هي التي لا تزال محفوظة في التوراة العبرانية والتي لم يحدث جدال بشأنها وعددها ستة وثلاثون على حساب كثير من البروتستانت او تسعة وثلاثون على حساب صاحب المقالة في « النعمة » او ثمانية وثلاثون كما جاء في « الكلمة ». لكنها قد تضمّ بعضها الى بعض فتُحصى اثنين وعشرين كتاباً على عدد احرف الهجاء العبرانية او اربعة وعشرين على حروف الهجاء اليونانية . وهذه الاسفار كُتبت بالعبرانية خلا بعض مقاطيع لا تُعرف الّا باللغة الكلدانية او الآرامية

﴿ الاسفار القانونية الثانية ﴾ من تصفح مجموعة الكتاب المقدّس في اي لغة او عند اي طائفة شاء مبتدئاً من الترجمة السبعينية الجليلة الى اياما — خلا بعض النسخ البروتستانية الحديثة — يجد اسفاراً أُخر مختلطة في وسط الاسفار التي عددناها تحت اسم واحد لا ميزة بينها . وهي هذه : ١ً طوبيا او طوبيت — ٢ يهوديت — ٣ً سفر الحكمة — ٤ً يشوع بن سيراخ — ٥ باروخ — ٦ً سفر المكابيين وبعض قطع في سفر استير وتسعة الثلاثة الفتية في الفصل الثالث من سفر دانيال وخبر سوسنة والتنين في الفصل ١٣ و ١٤

وهذه الاسفار والمقاطيع قسمٌ منها كُتب ولا شك باليونانية وهما سفرا الحكمة والمكابيين الثاني . وقسم فُقد اصلهُ . فقد عرف اوريجنيس سفر المكابيين الاوّل بالعبرانية ووُجدت موخّرًا في كنيس القاهرة قطعٌ عبرانية قديمة اثبت العلماء انها النصّ الاصلي العبراني لسفر يشوع بن سيراخ . اما طوبيا ويهوديت والقطع المذكورة من دانيال واستير فقد ذهب العلماء المحدثون المدققون ان اصلها العبراني قد فُقد مع الايام (١ . هذه الاسفار

---

١) جاء في الكاتيشيس الارثوذكسي المطبوع في بيروت سنة ١٨٩٥ (صفحة ١٨) : « لاي سبب في احصاء كتب التيقة هذا لم تعرض حكمة سيراخ وبعض كتب اخرى غيرها ؟ الجواب : لانهم غير موجودين في اللغة العبرانية ». قلنا وقد اثبت العلماء ان ابن سيراخ كُتب بالعبرانية ونُقل الى اليونانية كما بيّنا في النص . وكاتب هذه الاسطر يذكر انهُ لمّا وُجدت هذه القطع العبرانية لابن سيراخ كان مارًّا باحد شوارع باريس فاذا بالعلامة الاسرائيلي المستشرق الشهير هالاوي (J. Halévy) يناديه وهو يبتسم ابتهاجاً وقائلًا : اسمعتَ باكتشاف قطع عبرانية لابن سيراخ ؟ قلتُ : لا . فجعل العلامة يشرح الامر بالتفصيل ويقول : هذا ما كنتُ اعتقدته طول حياتي فكان المخالفون يماندوني فجاء الاكتشاف مثبتاً لحسباني . وزاد : ارجوك ان تخبر الاب د . وغيره من دارسي العلوم الكتابية بهذا الامر الاثير .

وتزيد : لِمَ لا يرضى صاحب الكاتيشيس الّا بما كُتب بالعبرانية ؟ ألا يحقّ له ان يستعمل

حفظتها لنا الترجمة السبعينية في عداد الكتاب المقدس وعليها كلامنا في هذه المقالة

*

وقبل ان نورد الشهادات المثبتة اعتقاد الطائفة الرومية الارثوذكسية المتواصل في قانونية هذه الاسفار لا بدَّ لنا من ايراد ملاحظة:

لم يتفق الكاتبان الارثوذكسيان في الجلَّتين الارثوذكسيتين في ايرادهما الاسفار التي يزعمان انها غير قانونية. فكاتب « النعمة » يرضى باستير ودانيال ولا يتعرض للمقاطيع . اما صاحب « الكلمة » فانهُ ينكرها وينكر ايضاً صلاة منسى في آخر اخبار سفر الايام الثاني

ثم يلحق كاتب النعمة بسفر ارميا كتاب باروخ ورسالة ارميا . وعلى ما يتراءى من كلامه يعتبرهما قانونيين — وكاتب الكلمة يعدُّهما بين الكتب الغير القانونية

ومهما كان من امر اتفاقهما او عدمه فانا نثبت ان الكنيسة الارثوذكسية قبلت قانونية كل الاسفار التي انكر كلا الكاتبين قانونيتها تبعاً لتعليم البروتستانت في القرن السادس عشر. ولا نتعرَّض اليوم لاقوال الاباء القديسين وشرح ما اوردهُ من النصوص والجواب على ما جاء به من الاعتراضات فموعدنا مقالة أُخرى ان شاء الله

البرهان الأوَّل

في انَّ الكنيسة الارثوذكسية قبلت قانونية الاسفار الثانية بقبولها الترجمة السبعينية

كل يعرف ان الترجمة السبعينية هي ترجمة يونانية سبقت العهد النصراني كان يهود القطر المصري يستعملونها ويعتبرونها اعظم اعتبار حتى ان كثيرين من اليهود ومن المسيحيين ذهبوا الى انها موحاة على مثل النص الاصلي العبراني. وهي تضمّ الاسفار الاولية والثانية مختلطة بعضها مع بعض لا خلاف بين هذه وتلك ولا ميزة. ومن ثم يُستخلص ان يهود الاسكندرية على الاقل كانوا يعتبرونها كمجموعة صادقة وكاملة للاسفار الالهية. وبهذه الترجمة وبالترجمات المعزوة لاكويلا وسوماك وتيودوشون التي هيَ ايضاً تحوي (كما يظهر من بقاياها) الاسفار الثانية انتشر الكتاب المقدَّس في القرون الاولى. وجدير

غير هذه اللغة اذا شاء ان يوحي اسراره للبشر؟ أوَلا يوجد في الكتاب العبراني قطع ارامية او كلدانية. وعلى كلٍ فالكتاب المقدس وديعة الكنيسة المقدسة وهي وحدها تنبئنا عن الكتب المنزلة

بالملاحظة ان كتبة العهد الجديد قد اعتادوا ايراد الآيات التي يستشهدون بها تبعاً للترجمة السبعينية. على اننا اذا خصصنا بالنظر الكنيسة الشرقية عموماً واليونانية خصوصاً وجدناها الحافظة الامينة على الترجمة السبعينية والمادحة لها جرياً على مسلك الاباء الاقدمين لا تعرف غيرها ولا ترضى الّا بها وقد قبلتها كما هي واعتبرتها المجموعة الصادقة والكاملة للكتاب المقدّس ولم يحدث مدّة ثلاثة قرون اعتراض على هذا الاعتبار. وبعد الجدال الذي حدث في القرن الرابع فتغلب فيه الحقّ على الشك واستتبّ الاعتقاد بالمجموعة السبعينية. قال مجمع اثينا سنة ١٨٣٥ مقرراً النظمات الجوقستنتية للكتاب المقدّس: « ان الترجمة الوحيدة القانونية للعهد العتيق التي تقبلها الكنيسة الشرقية هي الترجمة القديمة السبعينية » وقال سنة ١٨٣٦ البطريرك القسطنطيني غريغوريوس السادس: « ان الكنيسة الشرقية تقبل الترجمة السبعينية ضبطاً وشرعها اعظم اعتبار كانها النصّ الاصليّ بالذات » وسنة ١٨٤٨ اعلن البطاركة مجمعياً رأيهم قائلين: « ان كنيستنا تحفظ سالمة صحيحة الآيات الاسفار المقدّسة المصومة وهي الترجمة الصادقة والكاملة للعهد العتيق والنص المقدّس للجديد (١ » وقد وقّع على هذا النص الاخير بطاركة القسطنطينية والاسكندرية وانطاكية واورشليم وواحد وثلاثون اسقفاً. اليس هذا يعادل اقراراً بقانونية الاسفار المذكورة في الترجمة السبعينية؟

البرهان الثاني

حكم المجمع اللاحق بالمجمع السادس

ولم تكن الترجمة السبعينية السبب الوحيد لاعتقاد الكنيسة اليونانية بقانونية الاسفار المذكورة فان لها خلا سائر الكنائس برهاناً آخر في القرون الثماني للمجمع الملقب « إن ترولو » او القبة (in Trullo) الذي يُلحقه اليونان بالمجمع المسكوني السادس ويقدّرون احكامه قدر احكام الجوامع المسكونية. فقد جاء فيه ان المجمع

---

١) اطلب مجموعة المجامع لمانسي (جلد ٤٠ العامود ٤١٦) وهذا هو النصّ اليوناني:
ἡ ἐκκλησία ἡμῶν κατέχει αὐτὰ τὰ ἀδιάπτωτα καὶ ἀνόθευτα κείμενα τῶν Θείων Γραφῶν, τῆς μὲν παλαιᾶς διαθήκης τὴν ἀληθῆ καὶ ἀρτίαν μετάφρασιν, τῆς δὲ νέας αὐτὸ τὸ θεῖον πρωτότυπον.

يقبل القانون الخامس والثمانين من قوانين الرسل الذي يعدد الاسفار الالهية (خلا ما جاء فيه بشان رسومات الرسل (Constitutiones apostolicæ) لان المراطقة قد تلاعبوا في نصها) ويقبل ايضاً حكم مجمع اللاذقية وحكم مجمع قرطجنة « ولا يجوز لاحد ان يحرف الاحكام المذكورة » (١

فاذا انتقلنا الى فحص الاحكام المذكورة وجدنا :

١ً ان القانون ٨٥ من قوانين الرسل يزيد على الاثنين وعشرين سفراً المكرمة والمقدسة σεβάσμια καὶ ἅγια ثلاثة اسفار المكابيين ثم يقول: « اعلموا ان احداثكم يجب ان يدرسوا حكمة سيراخ الجزيل المعرفة » (٢

٢ً المجمع اللاذقي يذكر الاثنين وعشرين سفراً ويخص بالذكر باروخ والمراثي ورسائل (او رسالة ارميا) ولا يميز في سفري استير ودانيال بين قسم مقبول وقسم مرفوض (٣

٣ً واخيراً مجمع قرطجنة يعدد الكتب القانونية برمتها كما هي في الترجمة السبعينية ويقبلها كلها ككتب الله المنزلة بلا ميزة بين هذه وتلك وقوله هو الذي اتخذه المجمع الترينتيني بحرفه بغير تبديل (٤

ومن هذه الاحكام نستخلص ما يأتي — وقد استخلصه الروم قبلنا — كما سنبين في النصوص التي سنذكرها في مقالتنا

اولاً ان حكم هذا المجمع يثبت القوانين التي ذكرها وجعلها كأنها احكامه وقوانينه وان تكن صادرة عن مجامع مكانية . ومن ثم جعلها الزامية

ثانياً لا بد من مقابلة الجداول الثلاثة التي وضعها المجمع وتتميم ما ينقص في احدها بما جاء في الجدولين الآخرين ولا يجوز ان نقتصر على المجمع اللاذقي فقط لاننا بذلك نخالف حكم المجمع الذي امرنا ان نقبل جدول قانون الرسل وجدول قرطجنة . فقانون الرسل ذكر اسفار المكابيين وابن سيراخ والمجمع اللاذقي لم يجعل ميزة

---

١) مجموعة المجامع لماني المجلد ١١ العمود ٩٦٠

٢) ماني المجلد ١ العمود ٤٨

٣) ماني المجلد ٢ العمود ٥٧٤

٤) ماني المجلد ٣ : ٩٢٤ والمجلد ٤ : ٤٣٠

بين قسم وقسم من سفري استير ودانيال. ومجمع قرطجنة صرّح بقانونية اسفار طوبيا ويهوديت وحكمة سليمان وابن سيراخ وسفري المكابيين. اذن علينا الرضوخ لامره وقبول قانونية هذه الاسفار. هذه نتيجة منطقية استخلصناها بصريح العبارة من احكام المجامع الواضحة ولا نرى كيف يمكن انكارها

ثالثاً هكذا فهم هذه النصوص كتبة الشرق وقديسوه نخص بالذكر:

١ً القديس اندراوس القريطشي الذي استشهد مرارًا بسفر الحكمة وابن سيراخ وطوبيا ويهوديت والمكابيين وقطع دانيال الخ مثبتًا الايات بقوله: « قال الروح القدس » او « نقرأ في الاسفار الالهية » وما شاكلها — ٢ً القديس جرمانوس بطريرك القسطنطينية استشهد بسفر حكمة وابن سيراخ ويهوديت وقطع دانيال — ٣ً المجمع المسكوني السابع (٧٨٧) استشهد بسفر الحكمة وابن سيراخ

وهذا حذوهم القديس ثيودورس ونيقيتاس وفوطيوس وسمعان ميتافرستوس وثيوفيلاكتس البلغاري وان شاء صاحب المقالة نشرنا نصوصهم بحرفها (١. اما ما جاء في المقالة بشان القديس يوحنا الدمشقي والقديس نيقيفورس فغير نظر لان نص الدمشقي قد يراد به قانون اليهود الفلسطينيين لا قانون الكنيسة فاننا نراهُ يذكر في مقالاته اللاهوتيَّة ايات من باروخ وسفر حكمة وابن سيراخ الخ. اما نيقيفورس فانهُ يذكر صريحًا قانونية سفر الحكمة وغيره من الاسفار وقد ذهب العلامة شارل دي بودر ناشر تآليفه الاخير ان كتاب « ستيكومتريه » الذي أُخذ عنهُ النص المعارض لتعليم معاصريه في شأن هذه الاسفار هو كتاب نحتق ليس القديس

وقد يعترض علينا الكاتب الاديب بقوله ان قانون الرسل الخامس والثمانين يذكر سفرًا ثالثًا للمكابيين وان بعض الآباء قد استشهدوا برسالة هرماس المسماة « الراعي » وان النصوص القديمة كالنصّ الفاتيكاني والاسكندري او السيناوي تُلحق بالمجموعة احد هذه الاسفار التي يتفق الكل على انكار قانونيتها. اجبناه ان برهاننا لم نأخذه عن مصدر واحد لكن عن لفيف المصادر معًا واننا مقرّون ان بعض الاباء قد ارتأوا قانونية هذا او ذاك من الاسفار التي لا نرضى بقانونيتها. لكننا نرجوهُ ان يعتبر ان البرهان

(١) نحيل القارئ على كتاب جليل في هذا الموضوع للاب جوجي (Jugie) الصوردي فقد انتبسنا منهُ افادات جمة (اطلب المشرق ص ٢١٣)

التقليدي الحقيقي يُؤخذ من اتفاق الاباء الادبي لا من رأي هذا او ذاك على انفراد وان الرأي الذي نحن في صدده هو من قبيل الرأي الشخصي لا التعليم العام ولم يثبت تجاه الاجيال فاضمحلّ والّتي في طيّ الهجران بينما هذا الراي العام الثابت حُفظ مصونًا. وقل نفس الكلام في إلحاق رسالة هرماس بالمجموعة المعروفة باسم النص الاسكندري او السيناوي

وقد يقول ان هذه المجامع لم تذكر كل الاسفار الثانية. نجيبهُ: ١ً قد ذكرها مجمع قرطجنة. ٢ً لما كان السبب لانكار هذه الاسفار الثانيـة واحدًا يعمّ الكلّ — وذلك عدم وجودها في النص الفلسطيني — كان من ثم الرضى باحدها يقتضي الرضى بالكل. وهذا ما يثبتهُ التنقيب التاريخي: فمن قبل سفري المكابيين مثلًا او سفر طوبيا او سفر يهوديت نراهُ يقبل ايضًا سفر ابن سيراخ وسفر الحكمة

وايضًا اذًا قد قبلت الطائفة الرومية هذه الاسفار كاسفار قانونيـة اجابةً لاحكام المجامع ولشهادة الاباء والكتبة الشرقيين في القرون المتوسطة وقد لبثت حافظة هذه الامانة «معتصمة بها لم تقل بسواها ولم يعرض عليها تغيّر» — حتى القرن السادس عشر

البرهان الثالث

في اعتقاد الكنيسة الرومانية بقانونية هذه الاسفار وحربها للمخالفين وسكوت الشرقيين عن هذه العقيدة الرومانية

لا خلاف في ان الكنيسة الرومانية كانت في الاجيال المتوسطة تؤمن بقانونيـة الاسفار الثانية وتستشهدها كما تستشهد كلام الله وقد اقرّ بذلك الكاتب الشهير اليوناني قسطنطين اركونوبوس كاهن الكنيسة الكبرى في القسطنطينيـة في تاريخه المعتبر للترجمة السبعينية. قال: «ان الكنيسة الرومانية تقبل هي ايضًا هذه الكتب (الاسفار الثانية) ككتب قانونية وتكرمها وتقرأها. وهي في هذا حافظة للتقليـد القديم في الكنيسة الواحدة وقد اعلنت رسميًا معتقدها في المجمع التريدنتيني» (١

على ان هذا الاعتقاد الروماني قد اصبح بعد حكم المجمع التريدنتيني عقيـدة

(١) طبعة اثيناسة ١٨٥٩ المجلد الرابع الصفحة ١٢٦—١٢٨ Περὶ τῶν Ὀ' Ἐσμηνευτῶν τῆς παλαιᾶς Θείας Γραφῆς

دينية كثيرها من العقائد يعتبر من ينكرها هرطوقيًا ومحرومًا من الكنيسة. وهي لسري من العقائد العظيمة الشأن لا يمكن للمسيحي ان يغض عنها طرفًا او يستخفها لان كلام الله اساس ديننا فمن تجرأ على ان يعزو الى الله كلامًا هو براء منهُ يرتكب اقبح الآثام والجرائم وليس باخف منهُ اثمًا من يحرم البشر كلامًا قد تنازل الله ولقنه خلائقهُ ليكون لهم تعليمًا للتقويم والتهذيب والخلاص

ومن ثم نقول: لو كانت الكنيسة اليونانية تعتقد عدم قانونية هذه الاسفار لما سكتت عن اعتقاد الكنيسة الرومانية في امر هام كهذا ولكانت عابت عليها هذا الضلال المبين وهي التي لم تدع عادة غريبة او مكانية صغيرة او كبيرة الا وانتقدت عليها امر الانتقاد حتى ان من طالع بعض كتب الارثوذكس وما جموا فيها وكدسوا من الفروق التي دعوها الضلالات الرومانية يأخذه العجب فلا يدري هل يعزو هذا المسلك للبساطة وللجهل او للوهم ولسوء النية. « وعين البغض تبدي المساوئا » كما قال الشاعر

قال الكاهن والعلامة في التيولوجيا في الكنيسة الروسية الارثوذكسية الاب فلادمير جاته (١: « لامر اكيد ان بين هذه الكنائس المختلفة قد وُجد منافرة عميقة. فمن الجيل العاشر قد اتصلت الى هذا الحد بين الكنيسة اليونانية والكنيسة اللاتينية حتى ان ميخائيل كيرولاريوس كان يعيب اللاتين على مجرد بعض اصطلاحات في الفروض مثلًا فيما خص نشيدة هللويا في بعض ايام. وكان يكفي ان يصير الاصلاح عربيًا ليكون حالًا مكروهًا عند اليونان » وهي لسر الحق شهادة صادقة يثبتها التاريخ حتى يومنا هذا. وقد عدّوا البدع والضلالات الرومانية بالعشرات بل بالمئات منها « ان اللاتين يرسمون اشارة الصليب مبتدئين من الشمال الى اليمين » وان « القندلفت قد يتعمد على الهيكل ليطفئ الشموع » واللاتين « ينحتون التماثيل في الكنائس » و « في اوقات الصلاة يجلسون على كراسي ومقاعد » و « يقصون شعرهم » و « يخنقون الزكب يوم السبت » و « يصومون يوم السبت » وغيرها (٢ ولم يكن يعرف الاولون الا خمس اختلافات تعليمية محضة كانوا يتباحثون فيها

---

١) اطلب كتاب الحقائق الارثوذكسية واختلافات النصرانية. الطبعة العربية (الصفحة ٨)

٢) نظرة تاريخية في ضلالات الكنيسة البابوية تأليف الكاهن باسيليوس ميخايلوفسكي عربها من الروسية الارشمندريت رفائيل. طبعت في كازان سنة ١٨٩٦ صفحة ٧٩ الخ. ثم اطلب البينات

على انك اذا تصفحت هذه الكتب العديدة المتشابهة لفظاً ومعنى والمحشوة امر الكلام واظلمه لا تجد ذكراً لهذه العقيدة الرومانية العامة . أو ليس اثبات كلام الله او انكاره اهمّ من قصّ الشعر وحلق اللحى واحناء الركب يوم السبت والجلوس على الكرسي ؟ فليحكم القارئ

واذا تفهت النفس من مطالعة هذه الورقات والكتيبات المتفقة عادة بالمعنى البذي والتحقير للكنيسة الكاثوليكية وأخذتْ الرسائل والمقالات التي اصدرتها مرارًا الاجتماعات الارثوذكسية او السينودسات البطريركية — وعندنا منها شيء كثير — وقلبتها صفحة صفحة لا تجد فيها ذكراً لهذه العقيدة الرومانية . فلو كانت الطائفة الارثوذكسية تخالف تعاليم المجمع التريدنتيني في الاسفار الثانية ألم تكن تذكرها في فاتحة جداول البدع الغربية لانها هي الاهم والاعظم افتراء على كلام الله . ولا يمكن للقارئ ان يعذرها ناسباً اليها الجهل بعقائد الكنيسة الكاثوليكية . ذلك قد يكون الصواب في بعض الكتبة الذين يجدفون على ما لا يعلمون . لكنه افتراء على اصحاب التاليف العامة والرسائل البطريركية وقد صرّحوا مرارًا بمعرفتهم للمجمع التريدنتيني والمجمع الفاتيكاني وانتقدوا على كثير من احكامهما المقدّسة . ومن ثم كان سكوتهم بمثابة اقرار صريح باتفاق المعتقد بين الطرفين في قانونية الاسفار الثانية

البرهان الرابع

في شهادة الكنيسة الارثوذكسية ضد البروتستانت

لقد سعى البروتستانت ان يتّحدوا مع الطائفة الارثوذكسية فيجدوا في قدمها عزاء لهم وجواباً على حدوث تعاليمهم . لكن المساعي المتبادلة لم تفلح رغماً عما بُذل من التساهل من كلا الطرفين لبعد البين بينهما (١ لكننا اذ ما تصفحنا تاريخ هذه

الجلية في البدع البابوية استخرجها من اللغة اليونانية الشماس جراسيموس مسرّة . طبعت في بيروت سنة ١٨٨٧ صفحة ٣٥ الخ

١) اطلب مقالتنا في التسع والثلاثين عقيدة انكليكانية والطائفة الارثوذكسية جواباً على ما جاء في المنار الارثوذكسي البيروتي (المشرق ٧ : ٩٣٥-٩٣٨) وقد بيّنا بنشر بعض العقائد الانكليكانية ان الجمع بينها وبين امانة الكنيسة الارثوذكسية من المُحال الممتنع قطعياً

المراسلات في القرن السادس عشر والسابع عشر واوائل الثامن عشر وجدنا برهانًا جديدًا صريحًا لمعتقد الطائفة الارثوذكسية بقانونية الاسفار الثانية خلافًا لمعتقد البروتستانت وحرمانًا لبدعتهم. ولا بد من ذكر السوابق واللواحق ليعلم القارئ حقيقة الخبر

فاول من فاتح الكنيسة الشرقية هو ميلنكتون المبتدع الشهير وذلك سنة ١٥٦٠ في رسالته للبطريرك القسطنطيني يواصاف الثاني فلم تأتِ بنتيجة. ثم خلفهُ معلمو مدرسة « تيبنغه » اللوثرانية فدار البحث بينهم وبين البطريرك ارميا الثاني مدة ٧ سنوات (١٥٧٤ الى ١٥٨١) بلا جدوى لما كان عليه البطريرك من التعلق بايمان اجداده وتكرانه للبدع. فانقطعت العلاقات (١ لكن الشبان الروم جعلوا يؤمّون مدارس اوربة الكبرى ليتلقوا فيها العلوم. ولما كانوا والبروتستانت سواء على انكار التعليم الكاثوليكي آثروا المدارس اللوثرانية والكلوينية على الكليات الرومانية فتراهم يدرسون على اساتذة « ويتنبرغ » و « تيبنغه » وغيرهما من الحافل البروتستانية. وما عتم ان اثر هذا التعليم فيهم فكنت تراهم يتجاذبهم طرفان طرفُ التقليد القديم الذي تلقوهُ عن اجدادهم وطرف البدع الجديدة التي سمعوا وصفها وتتلمذوا لناشريها. ولكي نقتصر على موضوعنا الخاص ضاربين صفحًا عن تاريخ العلاقات بين الارثوذكس والبروتستانت نقول:

ان اول كاتب روسي تعرّض لمسّ الاسفار الالهية هو زكريا غرغانوس تلميذ مدرسة ويتنبرغ في كتاب نشرهُ سنة ١٦٢٢. لكنه لم يرق في اعين مواطنيه فقتلهُ يرخ متى كاربوفيلوس مطران ايكونيوم اليوناني في كتاب سماهُ جدول التعليم المسيحي الكاذب لزكريا غرغانوس. وجاء متروفانوس كريتوبولوس الذي ألفَ معلمي اوكسفرد ويتنبرغ وتيبنغه وكان كيرلس لوكاريوس ارسلهُ الى انكلترة ليحمل الملك كارلوس الانكليزي نسخة الكتاب المقدس اليونانية التي تعرف اليوم بالخط الاسكندري. فقام باعباء الرسالة وعاد الى مدينة هلمشتد من اعمال المانية فالف فيها كتابهُ « امانة الكنيسة الجامعة الرسولية الشرقية » وفيه جادل المراطقة في كثير من مبادئهم وتساهل في غيرها منها قانونية الاسفار الثانية. وزاد منكرًا قانونية باروخ خلافًا للنصوص الصريحة التي اتى بها هو ذاته في غضون كتابهِ. لكنهُ لم يتجرأ على نشر امانته فعاد تاركًا اياها مخطوطة. فجُعل

---

١) وقد نشرت الرسائل المتبادلة بين الفريقين في مدينة ويتنبرغ سنة ١٥٨٤

بطريركاً على الاسكندريّة وبعد وفاته بسنين طبعها في هلمشتد يوحنا هورنيجوس. ولم يكن لكتاب متروفانوس تأثير في حياته لانهُ لم يُعرف ولم يُنشر (١

والمسئولية في نشر المبادئ البروتستنتية اخذها على عاتقه شخص اشتهر في زمانهِ شهرة لا يُحسد عليها في ميلهِ للتعاليم المرطوقيّة وسعيهِ سعياً متواصلاً لا يعرف الملل في بثها بين الشعب الموكولة اليهِ رعايته. نريد كيرلس لوكاريس البطريرك القسطنطيني. ولد في جزيرة كريت سنة ١٥٧٢ وكان اسمه قسطنطين ودرس في البندقية وبادوا وزار مدناً كثيرة فتصادق مع اللوثريين والكلوينيين والانكليكانيين ثم عاد الى الشرق وجُعل بطريركاً على الاسكندرية خلفاً لقريبه ملاثيوس بيغاس (١٦٠٣) ثم على القسطنطينية حيث لبث نحواً من ثماني عشرة سنة بُدّل في غضونها اربع او خمس مرّات الى ان مات خنقاً في ٧ تموز ١٦٣٨. هـذا ملخص حياته نقلاً عن التواريخ الموثوق بصدقها (٢

وقد لعب في زمانهِ دوراً مهمًّا حتى انك تجد في مكاتب الوزارات الافرنسية مئات من الرسائل والمقالات المتعلقة بهِ وقد اسعدنا الحظ فطالعناها ونقلنا عنها شذرات قليلة في كتابنا المعنون باسم الآثار الخطية لتاريخ الكنائس الشرقيـة (٣ ولم يكن دوره

١) اطلب الاب جوجي في كتابه عن قانون الاسفار الالهيـة والكنيستين اليونانية والروسية فقد اكتسبنا مراراً من معارفه. وكتاب الكاتب الانكليزي الاب فورتسكيو (Fortescue) المعنون «الكنيسة الارثوذكسية الشرقية» (لندن ١٩٠٧) صفحة ٣٦٥ر٣٦٥. وميخالسكو. اما متروفانوس فهو الاب الكنسي الوحيد الذي استشهدت بهِ مجلة التعمـة الارثوذكسية بعد ذكرها لاباء القرون الاولى. كانها تجهل ما سنذكرهُ بُعيد هذا من شهادات اربعين او خمسين بطريركاً ومتروبوليتاً من المعاصرين لمتروفانوس والمخالفين لرايه

٢) اطلب في دائرة المعارف للعلماء البروتستنت الالمانيين (Realencyklopaedie) مقالة عن لوكاريس بقلم العالم الالماني ماير ومقالة للعـالم هوفن في المجمع الاورشليمي سنة ١٦٧٢. وايميل لوغران (Em. Legrand) في المكتبة اليونانية. وفورتسكيو صفحة ٣٦٤-٣٦٩ ومجلتي اصداء الشرق (Echos d' Orient) ١٧:٦ والباحث (Etudes) المجلد ١١٣ سنة ١٩٠٧ صفحة ٧٠-١٠١. وكل هـذه المؤلفات لا ينكر احد اهميتها العلمية وصحّة رواياتها التاريخية

٣) اطلب المجلد الاول صفحة ٢٥٢ من كتابنا (P. A. Rabbath : Documents inédits pour servir à l'histoire du Christianisme en Orient, 1907) وفي المكتبة العمومية في باريس نحو من عشرين مجلداً تحتوي اوراق السفارة الافرنسية في القسطنطينية في زمن لوكاريس. فيا خيبة لو سعى احد الشرقيين فاستخلص منها تاريخاً مدققاً صادقاً لاعمال لوكاريس

لسمو علم او قداسة لكن لاجتهاده ايّ اجتهاد في ادخال المبادئ البروتستانية في الكنيسة الشرقية اجابةً لرغائب اهل البدعة في هولندة والمانية وانكلترة وكانوا قد جعلوا ثقتهم فيه ولم يضنّوا عليه بمساعدة ان مالية وان سياسية. ذلك مما لا ريب فيه كما يشهد به العلماء البروتستانت في ايامنا وتشهد رسائله المحفوظة (١ ومعاريض سفراء الدول الى حكوماتهم الذين دعوه مرارًا نصير الهرطقة وهرطوقيًا (٢. قال سفير فرنسة في القسطنطينية في رسالته للملك بتاريخ ٣٠ نيسان ١٦٢٣: « هذا البطريرك هو هرطوقي خطير لا غاية له الّا تاسيس الكالوينية في كل انحاء الشرقيّة ». وقد ردّد هذا الحكم مرارًا في رسائله (٢ وجعل لوكاريس يستجلب كتبًا هرطوقية لينشرها بين الشعب. قال السفير بتاريخ ٢١ كانون الثاني سنة ١٦٢٤ عن احد هذه الكتب: « هو كتاب كافر لان يغشي وباء الهرطقة في كل انحاء هذه الكنيسة الشرقية المسكينة لانهُ مملوء اراء كالوينية ولوثرية قد تدخل بسهولة في عقول قوم سذّج بسطاء (٣ ». ولم يكتفِ لوكاريس باستجلاب كتب غريبة لكنه سعى بنشر كتاب دُعي الامانة الارثوذكسيّة هو بالحقيقة اقرب للبروتستانية منه للارثوذكسية (٤ فطبعهُ في عواصم الهرطقة وزاد على الطبعة

واحوال البطريركية القسطنطينية في النصف الاول من القرن السابع عشر. وهذه غرة المخطوطات المذكورة (القسم الفرنساوي عدد ١٦١٤٥ وما يليها)

١) قد حُفظ كثير منها بينه وبين قوم من البروتستنت كغروتيوس (Grotius) وابوت ودي دومينيس وغيرهم (اطلب فورتسكيو صفحة ٢٦٤ ودائرة المعارف الالمانية البروتستنتية)

٢) كذا نعتهُ مرارًا سفير فرنسة في رسائله للملك (اطلب مخطوطات المكتبة السمويّة في باريس غرة ١٦١٤٥ صفحة ١٢٦)

٣) اطلب مخطوطات باريس غرة ١٦١٥٠ صفحة ٢٣٩ وكتابنا الاثار الخطية صفحة ٢٥٣ الخ

٤) ان الارثوذكسيين قد اجمعوا على رذل ما جاء في هذا الكتاب من المبادئ الضالّة والمضلّة اجمالًا وافرادًا. لكنهم على رأيين في نسبة هذا الكتاب للوكاريس. فقوم لا يشكّون انهُ هو مؤلفهُ الحقيقي بذاته او بواسطة تلميذه زكريا لكنهم انكروا عليه الحق ان يعرض بدعته بثوب التعليم الارثوذكسي كأنها واحد والكنيسة الارثوذكسية براء من مزاعمه. واكثر هؤلاء معاصرون للوكاريس وقوم حاولوا تقريبه البطريركية او بالحري البطريرك من وصمة الهرطقة وهؤلاء هم اباء المجمع الاورشليمي المنتظم سنة ١٦٧٢ فقد حرموا التعليم المعزو للوكاريس وانكروا انهُ تعليمه. اما العلماء المدققون فقد اثبتوا في ايامنا نقلًا عن الاثار الصادقة ان نسبة الكتاب الهرطوقي للوكاريس امر لا ينكره الّا مكابر (اطلب لوغران في المكتبة اليونانية وماير وهرفان في دائرة المعارف الالمانية)

الثانية اربعة سوالات خص السؤال الثالث بالاسفار القانونية فانكرهـا خلافاً لتعليم كنيسته وجرياً على تعليم البروتستانت. وسنة ١٦٢٨ جاء اطون ليجه الهولندي فاستعان به لوكاريس على فتح مدرسة بروتستانية في القسطنطينية كما استعان بسفيري هولندة وانكلترة للثبات في منصبه او العودة اليه وللانتقام من كل محافظ على المعتقد الصادق سواء من الارثوذكسيين او من الكاثوليكيين. لكن «الله جـازاهُ على سوء عمله لانهُ كان عدواً لكنيسة الله.» كما جاء في المجمع الارثوذكسي الاورشليمي سنة ١٦٧٢

*

على انَّ الكنيسة الشرقية لم ترضَ ان تكون امانة لوكاريس امانتها فحرمتها في المجامع الكنسية التي التأم فيها البطاركة والمطارنة الارثوذكسيون مراراً في خلال مائة سنة دفاعاً عن الامانة الارثوذكسية :

١ سنة ١٦٣٨ المجمع القسطنطيني ترأسهُ البطريرك كيرلس كوتاري خلف البطريرك كيرلس لوكاريس وحضرهُ عدد من الاباء منهم متروفانوس كريتوبولوس صديق لوكاريس القديم . حُرم فيـه الكتاب المعزو للوكاريس وحُرم لوكاريس ايضاً كمبتدع وهرطوقي . ولما كان المجمع لم يصف بالتفصيـل ما رذله من البدع كلَّف احد الاباء الحاضرين وهو العلامة الشهير ملاتيوس سيريغوس ان يدحضهـا بنداً بنداً فقام هذا باعباء المهمة احسن قيام وألَّف كتاباً (١ فنَّد فيه اقوال لوكاريس واثبت اعتقـاد الكنيسة ورذلها للهرطقات ومن ذلك اعتقادها بقانونية الاسفار الثانية الاهية متبعاً

امَّا ما جاء به صاحب كتاب تاريخ الانشقاق (مجلد ٣ : ٢٥٨ الخ) في اضطهاد الجزويت للبطريرك لوكاريس فهو الروايات الخرافية اقرب منهُ للتاريخ. وكأني به اضطهاد العسل للذيب ليس الَّا. ثم لم يكن اليسوعيون على راي لوكاريس وهم المدافعون عن التقليد والكتاب والاسرار وغيرها من العقائد المسيحية في وجه المراطنة ايَّا كانوا ولذا لم يبخل لوكاريس وصديقاه سفيرا هولندة وانكلترة بالمال الكثير ولم يردعهم ضمير ولا شفقة ولا دين عن الافتراء على المرسلين املَّا بدَّ افواههم وطردهم من القسطنطينية ليجعلوا كنيستهم (التي على اسم القديس مبارك) مبدأ بروتستنتيًّا. وعندنا انهُ فرض واجب على الارثوذكس ان يحفظوا احسن ذكر لمن ساعدهم على حفظ وديعة الايمان ويثأروا عليهم الطيب الثناء لردِّهم عنهم غارات اشياع لوثاوس وكلوين

(١ Κατὰ τῶν καλβινικῶν κεφαλαίων καὶ ἐρωτήσεων Κυρίλλου τοῦ

Λουκάρεως ἀντίρρησις

هذه الاسفار سفراً سفراً وختم مقالته المسهبة بقوله: « لذا لا يجب ان يشك المسيحي باحد هذه الاسفار التي تقبلها الكنيسة كتباً الهية مقامها مقام غيرها من الكتب القانونية. وقاعدتنا الغير المتزعزعة هي الارادة الصريحة التي تظهرها كنيسة المسيح المقدسة... وهي انها لا تميز بين الكتب التي يرفضها كيرلس (لوكاريس) وبين غيرها من الكتب القانونية »

وقد اثنى على كتاب سيريوس المجمع الارثوذكسي الاورشليمي واعتبره امانة صادقة لمعتقد الكنيسة الشرقية

٢ً سنة ١٦٤٢ مجمع القسطنطينية ترأسه بارثينيوس الشيخ البطريرك القسطنطيني وحضره بطرس موجيلا متروبوليت كياف الشهير وفيه جدد الرذل لضلالات لوكاريس. قال المجمع: « اما السؤالات والجوابات التي أُلحقت بفصول الكتاب (اي كتاب لوكاريس) فقد سمع المجمع قراءتها وهي ليست بابخس قيمة من الفصول فان صاحب الامانة ينكر ليس فقط شروح الاباء الاطهار للكتاب المقدس لكنه يبخس قدرَ عدد من الاسفار الالهية التي قبلتها المجامع المسكونية المقدسة كاسفار قانونية »

وهذه الشهادة من الاهمية بمكان لان مجمع ياش ونواب الكنيسة الروسية وعدد من المطارنة قد وقّعوا عليها بيدهم

وعلى اثر المجمع ألف بطرس موجيلا تعليمهُ او كتاب الامانة الارثوذكسية الذي صادق عليه واثبته البطاركة نيكتاريوس ودوسيثيوس وجوانيسيوس ومكاريوس وبايسيوس وقدمة مطارنة وطبع بهمّة باناجيوتي باش ترجمان الباب العالي ووُزع مجانًا وهو يستشهد مرارًا بايات الاسفار الثانية ويصفها بقوله: « هكذا يُقرأ في كتب الله » « وهكذا تعلمنا الاسفار الالهية » و « يقول الله في اسفاره » الخ

٣ً شهادات الكنائس الخاصة: لما كان البروتستنت لم يكفُّوا عن اتهام الكنيسة الشرقية بالمخالفة لهم والرضاء بتعليمهم امر سنة ١٦٧٠ ملك فرنسة لويس الرابع عشر سفيره في القسطنطينيّة المركيز اوليه دي نوانتيل ان يعرض على كنائس الشرق ملخص التعليم البروتستني في اربعة عشر سؤالًا ويطلب من اصحابها الجواب الرسمي عن كل بند فقام السفير بالمهمّة وبعث الى ملكه مجموعة بديعة في نوعها وقّع عليها بطاركة واساقفة الطوائف الشرقية وهي باجمعها تخالف التعاليم المبتدعة وتصرّح بايمانها في الامور الواقعة تحت

الجدال متفقةً بالايمان مع الكنيسة الرومانية. وهذه النصوص الاصلية لا يزال اكثرها محفوظاً في مجموعات الصكوك الدولية في فرنسة وضمها نشرنا (في المشرق ٧:٧٦٦ و ٧٩٥) شهادة البطريرك مكاريوس الشهير. وبين السؤالات سؤال يتعلق بالاسفار الثانية التي ينكرها البروتستانت هل يعتبرها الشرقيون كتباً الهية قانونية وقسماً من كلام الله او لا. والجواب واحد بالمعنى وان اختلفت الشروح وهو ان هذه الاسفار هي جزء حقيقي من الكتاب المقدس وكتب قانونية الهية. وقد يحيلون في البرهان الى اعمال مجمع قرطجنة والى قانون الرسل الخامس والثمانين والى استعمال الاباء الاطهار لها ككتب قانونية. وهاك بعض النصوص والتواقيع:

١ قال البطريرك مكاريوس (مشرق ٧:٧١٧): «فليعلموا هؤلاء المخالفين (كذا) اننا نقبل كافة الكتب الالهية المقدسة التي ذكرها في مجامع البيعة الارثوذكسية وفي سائر الكتب التي للاباء القديسين. ومنهم الابوكاليبسيس ورسالة يعقوب اخو (كذا) الرب وطوبيا ويهوديت وسفر حكمة سليمان وسفر الجامعة وباروخ النبي والمكابيين. فجميعهم نقبلهم ونقرأهم في الكنيسة المقدسة الطاهرة الارثوذكسية». وقد وقّع على هذا الاقرار غريغوريوس مطران بصرى وحوران ويواكيم مطران حمص وتسعة خوارنة وقس. وذلك في دمشق في ٢٠ ت١ سنة ١٦٧١

٢ وصادق على الاقرار السابق مجمع سبعة اساقفة في القسطنطينية في ١٨ تموز ١٦٧١. وهذه اسماؤهم: برطلماوس مطران هرقلة وارميا مطران خلقيدونة ومثوديوس مطران بيزيديا وميتروفانوس مطران سيزيكا وانطون مطران اثينا ويواكيم مطران رودس ونيوفيتوس مطران نيكوميديا

٣ كنيسة جزيرة سيفانتو: وقّع على الشهادة مطران الجزيرة اثناسيوس وستة كهنة

٤ كنيسة اندروس: وقّع مطران اندروس الحالي يعقوب ومطرانها السابق ديونيسيوس وكاهنان

٥ كنيسة اناكسيا: وقع ١٢ كاهناً وراهباً

٦ كنيسة كيفالونيا وزانتو واياثاك: وقّع مطرانها بايسيوس و٣٢ رئيساً وكاهناً

٧ كنيسة جزيرة ميكون: وقّع النائب الاسقفي وعشرة من الكهنة والرهبان

٨ كنيسة جزيرة ميلو: وقّع مطرانها جراسيموس و ١٢ كاهناً وراهباً

٩ كنيسة كيو (صاقص) وقّع مطرانها و ١٦ كاهناً وراهباً

فهذه منتخبات من شهادة الكنائس اليونانية التي تثبت اعتقادها في قانونية الاسفار الثانية اجابة على السؤال المعروض عليها في قانونية هذه الاسفار او عدمها (١

٤ مجمع القسطنطينية الملتئم في كانون الاوّل سنة ١٦٧٢. ترأسهُ ديونيسيوس البطريرك القسطنطيني وجميتهِ ثلاثة من البطاركة القسطنطينيين السالفين وبايسيوس بطريرك الاسكندريّة وحضرهُ ٣٤ اسقفاً: فهو يحيل في الجواب على الاسفار القانونية التي عليها الجدال الى قوانين الرسل واعمال مجمعي اللاذقية وقرطجنة لان فيها جدول الاسفار التي يجب على المسيحي ان يعتبرها كلام الله خلا مقالات اكليمس التي رفضها المجمع السادس لان المراطقة قد حرّفوها. «اما سائر كتب العهد القديم التي لم تذكر في عداد الاسفار الالهية فلا يجب رفضها ككتب وثنية او عالية فان هذه كتب مفيدة لا تستحق احتقاراً». قلنا لما كان قد قبل كاسفار الهية ما ورد تعداده في قوانين الرسل واعمال مجمع قرطجنة حق لنا ان نستنتج قبولهُ صريحاً الاسفار الثانية كقانونيّة وما جاء من سائر الاسفار التي لم تحصَ في قانون الكتاب المقدّس يراد بهِ كتاب عزرا الثالث والمكابيين الرابع

٥ واخيراً شهادة المجمع الاورشليمي (١٦٧٢) والقسطنطيني (١٧٢٣): التأم الاول في اذار ١٦٧٢ وحضرهُ واحد وسبعون من البطاركة والمتروبوليتين والاساقفة من كل الاطراف منهم تيوفانس ويواصاف النابلسيان عن الكنيسة الروسية وهذا المجمع تُعتبر اعمالهُ في الكنيسة الارثوذكسيّة اعظم الاعتبار واليهِ يعود الكتبة اليونان في مباحثهم. ونصُّ الامانة التي سنّها هو نص رسمي لا يقبل زيادة ولا نقصان. اما المجمع القسطنطيني المذكور فقد التأم في ايلول ١٧٢٣ غايته تدوين امانة الكنيسة الارثوذكسية ليُرسل الى بعض من طلبوهُ من اصحاب الكنيسة الانكليكانية رجاء ان تتحد الكنيستان بوحدة الايمان. فاعاد اباء المجمع النظر في امانة ١٦٧٢ واثبتوها. اما التراقيع فهي كما

---

١) قد نُشرت ترجمة هذه الشهادات في كتاب «ثبات الايمان» (Perpétuité de la foi) المطبوع في باريس مجلد ٣: صفحة ٥٦١ الخ

يلي نقلًا من النص اليوناني المطبوع حديثًا (١ : ١ً ارميا . . . البطريرك المسكوني قد وقّعت بيدي واني اثبت واشهد أن هذه هي الامانة الصادقة في كنيستنا الرسولية الكاثوليكية الشرقية ٢ً — اثناسيوس البطريرك الانطاكي الخ . . — ٣ً خريزانثوس البطريرك الاورشليمي — ٤ً تسعة من المتروبوليتين الخ . ومن هذه الظروف يظهر لكل بصير اهمية الشهادة التي نحن في صددها . وهذا نصها اليوناني :

Ἐρώτησις γ' Ἱερὰν γραφὴν ποῖα Βιβλία καλεῖς;

Ἀπόκρισις. Στοιχειοῦντες τῷ κανόνι τῆς καθολικῆς ἐκκλησίας, ἱερὰν γραφὴν καλοῦμεν ἐκεῖνα πάντα ἃ ὁ Κύριλλος ὁπὸ τῆς ἐν Λαοδικείᾳ συνόδου ἐρανισάμενος ἀριθμεῖ, καὶ πρὸς τούτοις, ἅπερ ἀσυνέτως καὶ ἀμαθῶς εἶτ' οὖν ἐθελοκακούργως ἀπόκρυφα κατωνόμασε· τὴν Σοφίαν δηλαδὴ τοῦ Σολομῶντος, τὴν Ἰουδίθ, τὸν Τωβίαν, τὴν Ἱστορίαν τοῦ δράκοντος, τὴν Ἱστορίαν τῆς Σωσάννης, τοὺς Μακκαβαίους καὶ τὴν Σοφίαν τοῦ Σειράχ. Ἡμεῖς γὰρ μετὰ τῶν ἄλλων τῆς Θείας γραφῆς γνησίων Βιβλίων καὶ ταῦτα γνήσια τῆς γραφῆς μέρη κρίνομεν, ὅτι ἡ παραδόσασα ἀρχαῖα συνήθεια, καὶ μάλιστα ἡ καθολικὴ ἐκκλησία, γνήσια εἶναι τὰ ἱερὰ εὐαγγέλια καὶ τἆλλα τῆς γραφῆς βιβλία, καὶ ταῦτα εἶναι τῆς ἁγίας γραφῆς μέρη ἀναμφιβόλως παρέδωκε, καὶ τούτων ἡ ἄρνησις, ἐκείνων ἐστὶν αθέτησις. Εἰ δίπου δοκεῖ μὴ ἀεὶ πάντα ὑπὸ πάντων συγκαταριθμεῖσθαι, οὐδὲν ἧττον ὅμως καὶ ταῦτα καιρά τε συνόδων καὶ πολλῶν ὅσων τῆς καθολικῆς ἐκκλησίας παλαιοτάτων τε καὶ ἐγκρίτων θεολόγων ἀριθμεῖται καὶ συγκαταριθμεῖται τῇ πάσῃ γραφῇ, ἃ πάντα καὶ ἡμεῖς κανονικὰ Βιβλία κρίνομεν, καὶ ταῦτα τὴν ἱερὰν γραφὴν εἶναι ὁμολογοῦμεν.

وتعريبها بالحرف الواحد : « السؤال الثالث : اي الاسفار تسميها الكتاب المقدّس ؟ (الجواب) : « اننا تبعًا لقانون الكنيسة الجامعة ندعو كتابًا مقدسًا جميع الاسفار التي احصاها كيرلس [لوكاريس] نقلًا عن مجمع اللاذقية وما خلاها تلك الاسفار التي بغير تورّ ويجهل او بالاحرى بتعمّد شرير دعاها ابوكريفا وهي حكمة سليمان ويهوديت وطوبيا وخير التنين وخير سوسان والكابيين وحكمة سيراخ . ونحن نحكم ان هذه ايضًا هي جزء حقيقي من الكتاب الالهي مع سائر اسفار الكتاب المقدّس الحقيقية وذلك لان التقليد القديم او بالاحرى الكنيسة الجامعة التي سلمتنا الاناجيل المقدّسة والكتب

١) مافي مجموعة المجامع ٣٧ : ٥٤٢-٥٨٠

الأخرى المقدسة كتآليف مقلة قد سلمتنا بلا ريب هذه الاسفار ايضاً كقسم من الكتاب المقدّس حتى ان من ينكر هذه ينكر تلك. على انهُ اذا كانت كل هذه الاسفار لم تحصَ دائماً ومن الجميع لكنها مع ذلك قد قبلتها المجامع وعددٌ عديد من لاهوتيي الكنيسة الجامعة الاكثر قدماً وتدقيقاً واضافوها الى الكتاب المقدّس. وجميع هذه الاسفار نحن ايضاً نحكم انها اسفار قانونية ونعترف انها الكتاب المقدّس »

اتكون شهادة اصرح من هذه على صدق قانونية الاسفار التي ينكرها صاحبا النعمة والكلمة؟ اليس هذا هو معتقد الكنيسة الارثوذكسيَّة كما بيَّناهُ جليًّا؟ وايُّ برهان افصح من ذكر احكام المجامع المتعددة المتفقة لفظاً ومعنًى والمدافعة دفاعاً حرًّا عن وديعة الايمان

البروتستنت والكنيسة الارثوذكسيَّة

ولعلَّ سائلاً يقول: ما لنا مع ذلك نرى بعض الكتبة الروم الارثوذكس ينكرون هذه العقيدة ولا يخشون معارضاً؟ وكيف يدّعون ان تعليمهم اليوم هو التعليم الذي ما برحت الكنيسة الشرقيَّة الارثوذكسيَّة معتصمة به؟

جوابنا: انَّهم يجهلون تاريخ طائفتهم وكتب بطاركتهم ومجامعهم. وعوضاً عن ان يدرسوا العقائد والتاريخ في منابعه الاصليَّة نراهم يشربون مياه السواقي مهما تعكرت. وهذا ما جرى في مسألة الاسفار الثانية. وها انا نتتبع الان تاريخ هذه العقيدة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر فنبين ان السمَّ قد الفاه البروتستنت في صدر الكنيسة الروسية ومنها امتدَّت العدوى الى بلادنا رويداً رويداً. لكننا نعتبر الكنيسة الرومية في بلادنا غير راضية بهذه البدعة ولن تتساهل في اغضاء الطرف عنها وذلك عن بساطة ان لم نقل عن عدم اكتراث بوديعة الايمان

قد فشا الداء في البلاد الروسية ايام نهضتها زمن بطرس الكبير. فان القيصر استمدَّ مساعدة الكثيرين من البروتستنت. قال فيلاريت المتروليت في تاريخ الكنيسة الروسية: « كان في هذه الفترة الحرس والوزراء والمجمع العلمي والجيش والبحرية في قبضة البروتستنت ». وقد قام بدسّ التعليم البروتستني فيوفانوس بروكوبوفيتش الذي ترأس المجمع العلمي في كياف. قال فيلاريت في تاريخهِ السابق ذكرهُ

ان « فيوفانوس كان يبغض الكنيسة الرومانية بغضاً تجاوز فيه الحدود ولا ينكر اعجابه بلوثر وكالفين . . . وكان فيوفانوس في كل حياته مقتدياً بروح العالم خالياً من روح المسيح محباً للفخفخة عائشاً عيشة سيئة » فانكر هذه الاسفار الثانية بداهين غريبة في بابها . وانتشر تعليمهُ لعلوّ منصبه وصداقة القيصر لهُ . فقام عليهِ جدعون فيشنفسكي وتيوفيلكتوس لوماتنسكي والاكسرخس اسطفان ايافورسكي فدحضوا مبادئه والّف ايافورسكي كتاب « صخرة الايمان » لاثبات العقائد الارثوذكسيَّة ضد فيوفانوس . منها العقيدة في قانونيَّة الاسفار الثانية (١ وشاركهم في المعتقد الصادق متربوليت روستوف ديمتري (الذي دوَّنت الكنيسة الروسية اسمهُ في عداد القديسين) كما يظهر جليًّا من تآليفهِ ومواعظهِ المطبوعة في موسكو سنة ١٨٣٩ . وفي سنة ١٧٢٣ بعث بطاركة الشرق الى روسيَّة بالرسالة السينودسيَّة التي سبق لنا وصفها قبلها المجمع والكنيسة الروسية كقاعدة الايمان الارثوذكسي . لكن الداء البروتستني كان يمتدّ يوماً بعد يوم بسعي فانكونسكي وليبيدنسكي وفيلاريت ومكاريوس ولذا لما جددوا سنة ١٨٤٠ طبع « رسالة البطاركة » التي ذكرناها ضرب مجمع بطرسبورج الصفح عن القسم الثالث الذي نقلناهُ لئلا يعرف القارئ اهانة الكنيسة الارثوذكسيَّة . وهذا امر لا يرضى بهِ كاتب امين فما قولك في ابطال جزء من عقيدة الايمان ؟ وقد اقرّ الكسيس سبيرنسكي وجوفيروف ان هذا التعليم (اي تعليمهما الباطل) لم يتمكن حتى ايامنا من الافكار في الكنيسة الروسيَّة

*

ومن البلاد الروسية سرت العلة الى البطريركيات الشرقية لان ابناءها من اليونان والعرب جعلوا ينقلون الكتب الروسيَّة الى لغاتهم دون تنقيب ولا بحث . ولا ندري هل قام الاكليرس الارثوذكسي بواجب السهر على وديعة الايمان التي شهدوا بها مرارًا كما

---

١) وقد مدح هذا التاليف استورزا الارثوذكسي في كتابهِ « المقابلة المضاهئة » طبعة القدس سنة ١٨٦٠ صفحة ٥٠ فوصفهُ بما حرفهُ : « التاليف النفيس لاستفانوس ايافورسكي رئيس اساقفة ريزاني المتون « بصخرة الايمان » الحاوي الاعتبارات الراسخة والشامل كل الابحاث المجادل بها من اصحاب التغيير الملتئين في الدهر السادس عشر حيث تذكر حرفيًّا ادنى البراهين ايضاً التي ينصبها اصحاب التجديد ضد تعليم الكنيسة وتقاوم وتُرِدُّ عليها واحدًا فواحدًا »

بيننا . ففي سنة ١٧٨٢ ترجم ادامنتيوس كورايس الصاقصي كتاب بلاطون مقرولت موسكو فابطل منهُ ما شاء وزاد عليهِ حواشي اقتبسها من مقرفانوس كيتوبولس كما اقرّ ومن محادثاته مع صديقيه يوزدس كوين البشر الكلويني في قنصليَّة هولندة بازمير وادريان بورت كاهن كلويني في امستردام حيث اقام كورايس مدَّةً للتجارة . وقد طبعت كتبهُ في ليبسيك من اعمال المانيا وفي امستردام عاصمة هولندة وغيرها من المدن . وفي هذه الكتب ينكر الاسفار الثانية كما جاء في حواشيهِ على كتاب بلاطون Ὀρθόδοξος διδασκαλία) مع ان بلاطون على ما نظنّ كان مخالفاً لمبدإ بروكوبوفيتش محافظاً على الاعتقاد بقانونيَّة الاسفار الثانية لاستشهاده بها مراراً (١ ولم يكتفِ كورايس بانكار هذه الاسفار المقدَّسة لكنه تجرأ بعيد ذلك على انكار الفرق بين الاسقف والكاهن والشماس والانتقاد على الاصوام والطقوس الارثوذكسية الخ

وسعى مساعُ تيوفيلوس بابافيلوس واوجين بولغاريس وغيرهما لكن الايمان لم يُحرم من المدافعين فقام قسطنطين اوكونوموس مقتدًا تعليم كورايس . ثم اظهر موسكوبولس الذي الف « ملخص اللاهوت » (٢ ومن قولهِ ما جاء لهُ في الصفحة ١١ من طبعة ١٨٥١ في جزيرة كيفالونيا :

وما خلا الكتب القانونية الاولى يوجد كتب اخرى تُدعى قانونية ثانية لانها لم تعلها الكنيسة اولًا في القانون وذلك لان البعض من المؤمنين كانوا يشكُّون في قانونيتها . وهي هذه للعهد العتيق :

---

١) كذا قرأنا في كتاب الاب جوجي (Jugie) الصوردي (اطلب الصفحة ٣١٣) وصفًا للترجمة اليونانيَّة التي طبعت في القسطنطينية سنة ١٨٣٥ نقلًا عن الاصل الروسي وقد تطاول مترجمو كتب بلاطون على نص المولف فحرَّفوا وزادوا ونقَّصوا وحشَّوا الخ فانكر المولف عليهم عملهم على ما اخبر الكاتب المابتربوتس . وليس لدينا نسخ اصلية لكتب بلاطون لتأكد الامر عيانًا ونقابل بين ما هو للمولف وما هو للمترجمين والطابعين . على ان الطبعة العربية المعربة « ببعض تصرف » بقلم المارّي يوحنا حزبون سنة ١٨٩٧ عن المتن اليوناني الذي نقف عبارته الاستاذ قسطندي قسطوريدس واصلح ترتيبه وعلَّق عليهِ بعض حواش « تالف ما استشهدنا بهِ في النص فانما ندعو اسفار المكابيين وحكمة سليمان وسيراخ الخ ابوكريفا وغير قانونية . ولا ندري هل الفقرة للمولف او لغيره . وقد قابلنا بين الابواب والفصول التي ذكرها الاب جوجي في وصفهِ وبين ابواب وفصول الطبعة العربية فلم نصل الى نتيجة لعدم مطابقتهما لبعضهما . والله اعلم

٢) Ἐπιτομὴ τῆς δογματικῆς καὶ ἠθικῆς Θεολογίας

حكمة سليمان وحكمة سيراخ وطوبيا ويهوديت وباروخ . . . وهذه الكتب يعدها القانون ٨٥ من قوانين الرسل . وكنيسة المسيح باسرها تقبلها وتعتبرها في مصاف القانونية الاولى . ويوجد ايضاً قطع قانونية ثانية وهي في العهد العتيق : السبعة الفصول الاخيرة في سفر استير وترنيمة الثلاثة الفتيان واخبار سوسان وبيل والتنين الموجودة في سفر دانيال . هذه القطع تقبلها ايضاً الكنيسة ككتب حقيقية مقدسة على مثال الاسفار القانونية الاولى

ثم نيقيفوروس ثيوتوكيس نشر في ڤينسة كتاب الكاهن كليان (اكليمنتوس) باللغة اليونانية وفيه دفاع مسهب عن الاسفار الثانوية . ثم نشر راهبان يسميان اغابيوس ونيكوديموس من رهبان جبل اثوس شرحاً مهماً على القوانين سُمّي بيدالیون (Πηδάλιον) وقد ذكر هذه المجموعة صاحب المقالة في النعمة لكنهُ سها عن ملاحظة ما جاء في الكتاب من التعاليم الموافقة لقانونية الاسفار الثانية فانَّ صاحبَيه يقبلان حكم مجمع قرطجنة بدون خلاف ويدافعان عن قانونيَّة عدد من هذه الاسفار وان شكّا في سفر نحميا وفي القطع اللاحقة بدانيال . ثم قام الكاهن قسطنطين اوكونوموس وكيل الكنيسة الكبرى والف كتباً جمة اهمها تاريخ الترجمة السبعينيَّة للعهد القديم طبعهُ في اربعة مجلدات في اثينا . وقد اثنى على مؤلفه ثناء ممتازًا خمسة من بطاركة القسطنطينية على انها التعليم الارثوذكسي الصادق وهم البطريرك انثيموس السادس مع سينودس سنة ١٨٤٨ وانثيموس الرابع وقرسطنسيوس الاول وغريغوريوس السادس وجرمانوس الرابع كما تشهد بذلك رسائلهم المطبوعة في صدر المجلد الرابع وقد دافع اوكونوموس احسن دفاع عن قانونيَّة الاسفار الثانية في ١٢٠ صفحة من كتابه . قال عن قانون مجمع قرطجنة في الاسفار الثانويَّة :

« ان هذا القانون قد اثبتهُ المجمع المسكوني السادس ومن ثمَّ قد اتخذ من هذا الاثبات سلطة مسكونية وجامعة فان العقيدة في وحي الكتب المسماة ἀναγινωσκόμενα هي كانت تقليد قديم من الاباء القديسين وعلى هذا التقليد استند مجمع قرطجنة فامر ان تُقرأ هذه الاسفار مع الاسفار القانونية الاولى » . . . وقال : « والكنيسة الرومانية ذاتها تقبل ايضاً وتكرم وتقرأ هذه الاسفار وهي في هذا حافظة التقليد القديم للكنيسة الواحدة وقد اشهرت رسمياً معتقدها في المجمع التريدنتيني » . وقال ايضاً : « ان هذه الاسفار قد استُعرفت رسمياً من المجامع المسكونية للكنيسة الواحدة المقدسة الجامعة الرسولية عهود الحق فان هذه المجامع قد اثبتت بمجمع قرطجنة المكاني ولذا فان كنيسة المومنين الارثوذكسية تعترف قانوناً واحداً يضم كل الكتب الموحى بها في العهدين العتيق والحديث وهو القانون الكنسي وبحسب هذا القانون فان الجدول الكامل للعهد العتيق يحتوي على كل الاسفار القانونية الموجودة في جدول عزرا وكل الاسفار ἀναγινωσκόμενα

على اضا جزء من الكتاب المقدس ولا فيز كأن في هذه الاسفار درجة من الوحي اقل او اضعف او انقص

ثم اسكندر استورزا المعلم بمدينة اودسا في كثير من كتبه منها كتاب المقابلة المضاعفة (Διπλοῦν παραλληλον) المترجم الى اليونانية من السيد قسطنطين تيالدس رئيس مدرسة خالكي اللاهوتية ومنها الى العربية من احد المطارنة وابناء الكرسي الانطاكي. وقد طبع في اورشليم بامر غبطة البطريرك كيرلس الاورشليمي سنة ١٨٦٠ فانهُ يستند في اظهاره امانة الكنيسة الارثوذكسية ضد البروتستانت على « التعليم المسيحي الكبير تاليف بطرس موجيلا مطران مدينة كياف .. وعلى اعتراف الايمان المرسل من بطاركة الشرق الى مجمع روسية المقدس سنة ١٧٢١ وعلى التاليف النفيس لاستفانوس ايافورسكي » وهؤلاء كما رأينا من المدافعين عن قانونية الاسفار الثانية. قال استورزا في الفصل السابع في حال النفوس السعيدة بعد الموت وفي التضرع من اجل الراقدين صفحة ٩٩ و١٠٠ من الطبعة العربية) :

« وعادة التضرع من اجل الراقدين هي اقدم من تأسس مخاصنا ايضاً . ولكي تتحقق ذلك لنفتح اولاً صحف العهد العتيق الموحى بها من الله . ففي كتاب المكابيين الثاني (ص ١٢ عدد ٣٢) نجد محرراً ان (الاسرائيليين) توجهوا لتضرع (من اجل القتلى الذين سقطوا في الحرب) متحققين ان الخطية المرتكبة تمحى بالكلية ثم بعد ذلك محرر « ان يهوذا المكابي جمع الفي درهم فضة على عدد الرجال المحاربين وارسلها الى اورشليم لاجل تقدمة ذبيحة عن خطية (الموتى). وباطلاً يرفض الذين يضادون التضرعات من اجل الراقدين صحة كتاب المكابيين هذا بدعوى انهُ غير قانوني لان الكنيسة تعرفهُ قانونياً بموجب حكم قوانين الرسل (قانون ٨٥). ثم ان كتاب طوبيت يقول « اسكب خبزك وخمرك على قبور الصديقين ولا تعطها للخطأة (طوبيا ص ٤) فاباء الكنيسة الغديسون يستنتجون من هذا النص وجوب اعطاء مأكولات ومشروبات للفقراء تذكاراً للموتى. ثم اتنا في كتاب حكمة سيراخ (ص٧ ، ٣٥) نجد محرراً هكذا: « لتكن نعمة الاعطاء امام كل حي ولا تمنع نعمة كل ميت » فليس القصد بهذا القول ايضاح وجوب دفن الموتى لان هذا الواجب هو في الوقت ذاته ضرورة مطلقة . راجع المقالة البديعة عن هذا النص التي للسيد فيلاريطس مطران موسكا الكلي الطهر (مجلد ٢ من مجموع المواعظ والمقالات الكاملة صفحة ٣٩٤) من سفر الملوك الاول (ص ٢١ ع ١٣) ومن نبوات ارميا (ص ١٦) ومن سفر الايام الخ » (انتهى)

فاي برهان اثبت من اعتبار استورزا لقانونية هذه الكتب كما يعتبر قانونية سفر الملوك ونبوة ارميا وسفر الايام

ولنقف هنا عند هذه الشهادات غير ذاكرين شهادة كاليفرونوس وبرزداكيس ونكتاريوس كيفالاس وغيرهم الموافقين للتعليم القديم في قانونية الاسفار الثانية رغماً عما نُشر وعُرّب موخراً عن الكتب الروسيّة التي بواسطتها جعل الخلاف يمتدّ بين ابناء الكنيسة وهي تمانع وتدافع عن الحقيقة. ولنا في قولنا شاهد عظيم ألا وهو شهادة البطريركيّة الانطاكية الارثوذكسيّة سنة ١٨٧٠ وذلك انها لما رأت ان المطبعة البروتستنتية قد ابطلت الاسفار الثانوية من الكتاب المقدّس نشرت هذه الاسفار في الكتاب الآتي: «كتاب تكملة الكتب المقدّسة القانونيّة المقبولة من الكنيستين الشرقية والغربية. طبع بالمطبعة الوطنية باذن غبطة كيريوس ايرتيوس بطريرك انطاكية وسائر المشرق بنفقة اصحاب الغيرة قدس الاب مكاريوس الرملي رئيس دير سيدة ناطور وحضرة كير ايواني بابادوبولس باش كاتب الكرسي الرسولي الانطاكي في بيروت سنة ١٨٧٠» ويليه المقدمة بامضاء الاب مكاريوس الرملي رئيس دير سيدة ناطور وها نحن ننقل بعض فقرها بالحرف الواحد:

وبعدُ. ان الكتاب المقدس اذ طبع عربياً قد اهملت منهُ هذه الاسفار المقدسة بدعوى انها مجهولة او لاسباب أُخر. مع ان الجمهور المسيحي شرقاً وغرباً في صدر النصرانية الاقرب عهداً من الايمان قد استعملها كقسم من اجزاء الكتاب المقدس الصحيح الاعتبار». . .

«وضروري هنا ان نورد الشهادات التي توضح ان هذه الاسفار مثبتةٌ من الكنيسة ومقبولة نظير الكتب القانونية وهي هذه...

وبعد تعداد البراهين قال:

ان المجمعين اللذين انعقد احدهما في القسطنطينية ثم كمل في ياش سنة ١٦٤٢ في رياسة برثانيوس البطريرك القسطنطيني المدعو شيخاً وبحضور بطرس موجيلا مطران كيف وكل بلاد روسيا. والثاني في اورشليم سنة ١٦٧٢ في رئاسة دوسيثاوس البطريرك الاورشليمي. فهذان المجمعان قد أعلنا ان الكتب المقروة اعني بها كتاب استير وكتاب يهوديت وحكمة سليمان وحكمة ابن سيراخ واسفار المكابيين هي كتب مقدسة الهية

هكذا ان الكنيسة الشرقية حافظةٌ هذا الترتيب نفسهُ بقبولها الكتب المقروة بتلاوة كتب شريفة الهية كما اعلن بذلك المجمع الترينتيني. ان الكنيسة شرقاً وغرباً قد تسلمت كتاب العهد العتيق بالنسخة السبعينية التي فيها كانت هذه الكتب مضمومة كلها كتاباً واحداً بلا امتياز وفي مدة تيّف عن الف وخمسمائة سنة كانت تستعمل الكتاب بالاسفار المذكورة تماماً. وحتى الجيل السادس عشر لم يكن احد من الطوائف النصرانية يعترض على استعمالها الّا في هذه الازمنة الاخيرة بعد انفصال قوم عن الكنيسة الشرقية. فمن حيث ان هذه الكتب مقبولة في جميع الكنائس المسيحية

(اي اللاتين والارمن والسريان الخ) فلا التفات الى طائفة واحدة تنكر استعمالها . لاسيما ان كنيستا الارثوذكسية تتلو طقساً في صلواتها قرآنات من حكمة سليمان نظير ما تتلوه من الامثال . ومن اقوال باروخ وتسبحة الثلاثة فتية وصلوة منسّى الملك وما شابه ذلك . وهذا لعمري مرتب من مشاهير اباء الكنيسة الافاضل المشهود لهم باللوم الالهية والطبيعية والمعارف والتقوى والقداسة الذين اذا ما اردنا ايراد شهادتهم تفصيلاً يتقضي الامر بنا الى الاطالة »

*

الخاتمة : فمن هذا يتضح جلياً لكل ذي نية سليمة ان الكنيسة الشرقيَّة الارثوذكسية كانت تعتقد بقانونية هذه الكتب الالهية . فان قالت اليوم بسواه وعرض عليها تغيّر فتكون قد فقدت في فترة وجيزة عقيدة مقدَّسة من وديعة الايمان وهي على قولها « المصومة عن الغلط والضلال » فيا للاسف ! . وان كانت لا تزال معتصمة بقول البطاركة والمطارنة والمجامع الارثوذكسية وجلّ الكتبة الارثوذكسيين الذين تتبعنا اقوالهم فما لها تجيز نشر مثل هذه المقالات الضالَّة المضلَّة في مجلتين لارثوذكسيتين مجلة « النعمة » التي تصدرها البطريركية الانطاكية الارثوذكسية في دمشق ومجلة « الكلمة » التي يصدرها سيادة الاسقف وفائيل هواويني الارثوذكسي في نيويورك

ولنا امل ان غبطة البطريرك الانطاكي الارثوذكسي المبجَّل لا يسمح في ايام رئاسته ان يسطو الضلال على وديعة الايمان المقدس فيختلس قسساً من اسفار الله وله في سلفائه مثال طيّب يأتي به للدفاع عن الحق راجين ان يعلن رسمياً لراحة ضمير الكثيرين صدق المعتقد الذي ما برحت الكنيسة الشرقية معتصمة به اعني قانونية الاسفار الثانية وتنزيلها

المعارض الوطنيَّة

بقلم مكاتبنا الاديب احمد افندي تقيّ الدين

(المشرق) نرغب كل الرغبة في انشاء المعارض الوطنيَّة لترويج نطاق صناعة بلادنا وتنزيز تجارتها . وقد فتح المشرق باباً لوصف الصنائع الوطنيَّة واعمال ارباحها كما يتَّضح من فهارسه السنوية . ولمَّا أنشى في الشوير اوَّل معرض وطني أسرعنا الى تنشيطه بالمشرق لكنَّ آمالنا فيه قد خابت نوعاً لمَّا رأينا اصحابهُ يتحرَّون فيه ليس الخدمة الخالصة للوطن ل ترويج بضاعة أخرى لا يمكننا الانجار بها نريد نشر ما يدعونهُ « بالمبادئ الحرَّة » . ومن ثم اصطبغ ذلك المعرض بصبغة مشؤمة

كانت من اقوى اسباب خمولهِ . ولم يَخْلُ معرض زحلة من تلك الصبغة فيهـا فكان الامر سبباً لفتور الكثيرين من مؤازرة شؤونهِ . فان اراد ذوو الحمية الوطنيَّة ان تنجح هذه المعارض — وكلّ رغبتنا ان تنجح النجاح التامّ — فلا بدَّ ان يجرّدوها من كل صبغة مشخصة فلا يطلب من انشائها سوى الخير العامّ والمنفعة الوطنيَّة دون التحزُّب لشيعة خاصّة . وكان الأولى ان الحكومة نفسها تتولى تدبير هذه المعارض وتعين لجنة مؤلفة من كل العناصر والطوائف للنظر في امورها فتتَّفق كل القلوب في رفع شانها وتوطيد اركانها فلا شك انَّها تأتي باثمار شهية وتكون من اقوى اسباب الترقي للبلاد ونفع العباد

نفع هذا التحنُّط نشر المقالة الآتية لمكاتبنا الفاضل احمد افندي تقي الدين لتكون هذه النبذة كعامل جديد لنهض الهمم واخلاص الخدمة للوطن ل . ش

لا يخفى ان المعارض في البلدان هي صورة رقيّها وعنوان حياتها . وبقدر ما تكون الأمة راقية في مصالحها تكون معارضها راقية ايضاً . وليس هذا المشروع من مبتكرات هذا العصر بل للعصر القديم فيهِ يد بيضاء . وقد كانت الامم التي خلت تختلف في اوقات معيَّنة الى اماكن معينة تعرض فيها بضاعتها على اختلاف اجناسها وانواعها . وكانت العرب في الجاهلية تنحو هذا النحو وتسمي المعرض سوقاً وما سوق عكاظ والمعلقات السبع فيهِ بمنسيَّة من الناطقين بالضاد . ومن هذا القبيل ما يقام كل اسبوع في سهل وعلى مقربة من حاصبيَّا ويسمى سوق الخان الذي وان اختلف ظاهراً من حيث الشكل والترتيب والمعروضات يتفق باطناً من حيث الغاية الاساسية

وعليهِ لمَّا كان لبنان — وهو حبَّة قلب سوريَّة التي كانت معرضاً للترقيات العالية — قد قُليت عليهِ سماؤهُ واهمل سكانه الصناعة التي كان هو مهبط فنونها . خدت الثَّمرة الوطنيَّة ابناءهُ على العمل في سبيل احياء مواته واعادة رونقهِ . وكان من ذوي الهمَّة ان نشطوا من العقال وتدبّروا المصلحة الوطنيَّة بسعيهم وجهادهم وانشأوا لاوَّل مرَّة في الشوير المعرض اللبناني للمصالح السوريَّة فصادف من ذوي الهمة ارتياحاً ووجد من اهل الفضل والوطنيَّة موأزرة واقبالاً وها هو هذه السنة قائم في زحلة على ضفَّة بردونيها يروي زائريه بماء رونقهِ وبطلاوة مصنوعاتهِ وحسن معروضاتهِ كما يسقي البردوني ما حواليهِ من الرياض والغياض

المعرض الوطني في لبنان مرآة رقيهِ ومثال حياتهِ وعلى قدر ما يكون زائرهُ راقياً يتمثل حقيقة ذلك الرقي ويتفهم معنى تلك الحياة ومثلما يرى المتفرج فيهِ صورة لبنان

الطبيعية اي هضابهُ ووديانهُ مجسَّمة ايضاً بمظاهر الصناعة وادلَّة الحياة والزائرونَ هذه السنة يرون فيهِ تحسيناً عمَّا قبل

اما المعروضات فيهِ فاكثرها لبنانيَّة وبعضها وطنيَّة دخيلة على لبنان من الشام والقدس وحلب وحمص وحماة فضلاً عن السجَّاد العجمي. واهمّ المصنوعات اللبنانيَّة المنسوجات الزوقيَّة المشهورة واللطف المنسوجات وارقاها صناعة « الابرة والصنَّارة » كالتطريز والزركشة والتدويق والتخريم والتخريج الى غير ذلك من بنات الايدي لا من ايدي البنات الى كلّ ما يرجع الفضل فيهِ الى مملكة الجنس اللطيف

وفي طليعة المعروضات التي تستحق الذكر خريطة لبنان مجسَّمة تحتة ظاهرة للعيان بهيئة محسوسة مرسومة بيد المهندس المعروف بالرياشي. ويتلوها في الحسن ودقة الصناعة بساط من حرير مرسوم عليهِ مثال دولة متصرف لبنان الحالي. وممَّا يحسن ذكره ويخطر لي ببال صورة مطرَّزة بالحرير على الحرير تمثل ابراهيم شاهراً مدية للتضحية وليده الجاثي امامهُ وملاكاً من السماء ماسكاً بيده يد ابراهيم ومقدِّماً لهُ حملاً وهذه الصورة الحريريَّة مدبَّجة بيد حضرة السيدة المهذَّبة المعلمة انيسة حاصباني المصطافة الآن في بعقلين . والنكتة الجميلة التي يُستطرف التنويه بها حبَّة ارز مكتوب عليها ستون كلمة ذات معنى منقوش بقلم احد ابناء الطائفة الدروزيَّة من عينات. وتهيك ما هي المناسبة بين حبة الارز والاحدى والستين كلمة وقد رُوِّيت بالمجهر (لكروسكوب) فاذا هي مقروءة (١ .

وفي جملة المنسوجات السجَّاد البعقليني المعروف بالتاتة الذي وان يكن لا يزاحم السجاد العجمي الَّا ان متانته ومتحتهُ اللبنانيَّة تشفعان بالاقبال عليهِ من اوطنيين. وفي بعقلين ايضاً حياكة الابنة على اختلاف انواعها وعمل الصابون وغير ذلك . وفي اقليم الخروب وهو الجهة الجنوبيَّة من قضاء الشوف كثير من المنسوجات الوطنيَّة المعروف بعضها « بالديما » التي وان لم تكن راقية فهي صالحة للملبوس على وجهين هما متانتها ورخصها

وزبدة القول ان المعرض اللبناني هو معرضنا والصناعة المبسوطة فيهِ هي صناعتنا

---

١) اطلب تاريخ بيروت ليحيى بن صالح امير الغرب (الصفحة ٣٠٦) وسيذكر شكل ذلك لاحد اجدادهِ عزّ الدين جواد الذي كتب سورة الكرسي على حبَّة ارز (المشرق)

فاذ نحن لم نُقبل على مؤازرة هذا المشروع المفيد فمن نطالب بالاقبال عليه واذ نحن لم نلبس منسوجات بلادنا فمن نؤاخذ في لبسها. أمن الاجانب نرجو ان يحيوا مشروعنا وهم في غنًى عن مشروعنا لاسيما ونحن بمثل هذه النهضة نحارب تجارتهم ونصادر صناعتهم ونتحرّر من رقّهم

على رسلكم الى من تطلب الزوق مثلًا ان يزيّن بيتهُ بمنسوجاتها اذا كانت هي لا تحفل بمنسوجاتها وممّن ترجو بعقلين مثلًا ان يفرش سجّادها اذا كانت هي لا تفرش سجّادها وهلمَّ جرًّا. الناس من طبعهم يميلون الى الاحسن الّا ان كفيل نجاح المصالح الوطنيّة هو الثّمرة الوطنيّة التي يعبّر عنها بالحميّة

غضبنا على النسا فصادرنا بضائعها وغضبنا على طربوشها فكأنّنا غضبنا على رؤوسنا مكشوفةً او شبه مكشوفة ولو صادرنا دولة ثانية او بعض الدول نكون كأنّنا صادرنا انفسنا ورضينا عن تجريد اجسامنا من اثوابها. وعليه اذا كنّا نريد ان نكون احرارًا بكل معنى الكلمة يجب علينا ان نستجمع شروط الحرّيّة بكمالها وان نصير احرارًا بالفعل كما صرنا احرارًا بالقول. ومن امهّات المقدّمات المؤدية الى هذه النتائج إحياء موات الصناعة والزراعة فضلًا عن العلم في هذا الوطن العزيز وذلك بترويج المشروعات الوطنيّة كالمعرض اللبناني الصناعي الذي هو نفخة في نابض الوطنيّة والاصلاح ودلالة على تقدم الشعب اللبناني على حد قول الشاعر: «ان آثارنا تدلّ علينا».

وقد قلنا في المعرض الاخير ما جادت به القريحة:

يا رَبعَ زحلة دُمتَ زاهرْ تحتاط صنّتك الأزاهرْ
وسقتك غاديةُ المنى وبلًا كبَرْدُونيك هامرْ
ما كنتُ احسب انّ حسنك باعثٌ مَيت الشواعرْ
حتى أمَمتُك زائرًا فغدوتُ في مغناك شاعرْ
انا ان شعرتُ فليس لي فضلٌ وفيك الصخر شاعرْ
واذا نظمتُ فناقلٌ نظمي الضعيف عن الدفاترْ
ليراعتي الالفاظ م تكنَّ المعاني للمناظرْ
واذا سكرتُ فشاربٌ خمري من الانس الخامرْ
وتنوّعت حولي الكؤو سُ كما تنوّعتُ المزاهرْ

اتريد مني ان أكا بر حيثما عبّ اكابرْ

*

يا حُسنهُ نهرًا يسيل م بكل عاطفةٍ وخاطرْ
الماء يجري والحصى تشكو كأن الماء جائرْ
ماء على حصبائه متقرق كالدمع غامرْ
هو ينحتُ الحصباء م والحصباء كالظلوم صابرْ
والروض حولهما رقيب م سامع النجوى وناظرْ
هذا الجماد يقول م للاحياء اصحاب الضمائرْ
انا شاكر فضل الاله م أأنت يا انسانُ شاكرْ

*

هي زحلة في مائها الفضيّ تغتسل الخواطرْ
الانس فيها ينجلي كالعيد في ابهى المظاهرْ
والعيش فيها ساحب اذياله مثل الجآذرْ
يسحبنَ اردان الدلا لِ على الاصاغر والاكابرْ
يرفلن في حلل الحرير م وهنّ في حلل الشعائرْ
يخطرن ما بين الربا ض وهنّ في الصدر الخواطرْ
والناس في هذا وذا ما بين مأسورٍ وآسرْ

*

هي زحلة البلدُ الخصيب م المرتقي بين الدساكرْ
والمعرض الوطنيُّ قام م بوجهها انسان ناظرْ
هو نفخةٌ في نابض م الوطن العزيز وفي البصائرْ
هو صورة لحياتنا يبدو سناها للنواظرْ
هو روضة الايدي العوا ملِ في الرقيّ وفي المفاخرْ
تُتلى بهِ آيُ الصنا عة بالاطالس والحرائرْ
سم الخياط خطيبهُ وانامل الصنّاع شاعرْ
وبيانه الذوق السليم م وسحرهُ صدق الظواهرْ

من أمّه وشرى يكو ن ولو بغبن غيرَ خاسرْ
هو يشتري معنى حيا ة ربوع لبنان الزواهرْ
هو يشتري تذكار مو طنهِ المقدّس في الضمائرْ
يا همّةً نشطت م بلبنانٍ وحرّتْ كلّ فاترْ
دومي فديتُكِ همّةً لا تحتشي هول المخاطرْ
ان الشجاعة منبت م الاحرار حقًّا والحرائرْ
وكذا التحالف محورٌ معنى. الرقيّ عليهِ دائرْ
بنت الاوائل والعلى تقضي بان تبنى للفاخرْ

الكثلكة في ماردين

رواية لشاهد عياني نشرها الاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

فلمّا حسّت اولاد الكاثوليك انني انحبستُ اتوا الى مار يوسف وقال له الواحد منهم: صباح الخير يا عيسو. فقال له البطرك: لماذا تكلمني هكذا قال لان العيس باع بكوريّتهُ باكلة عدس وانت بعتَ ابنك بشقّة لحم. فقال: حاشا وكلّا فانا ما لي خبر بالامر. ثم بعث خلف الخواجا اسحق واعلمهُ بحالي. فلمّا سمع اني انا في الحبس اغتاظ غيظاً عظيماً وقال: سيردّون لترامتهِ اربعة آكياس وما اترك الامير يرضى الّا بها

فبقيتُ سبعة ايام في الزنجير في شهر تموز في موضع يقال له « التون باغا » فاسودّت وجوههم واعطوا الترامة وافلتوني وانا راح لي قرشان. وهذا اوّل دخولي للحبس. فلمّا طلعتُ طال لساني عليهم ازيد وازيد. فخاف البطرك وهرب الى حلب ورجع مار يوسف الى دياربكر والكركي راح الى اسطنبول وهلك في الطريق. امّا الشماس عمه ابن عجم ابو الفقراء فالكاثوليك رسموهُ قسيساً وبعد ما ارتسم اختلط مع اولاد الكاثوليك وحرم ما تحرمهُ الكنيسة وراح لعند مار يوسف فاصطاهُ شلموتا (١ وهو

١) لفظة سريانية بمعنى السلام واراد بها هنا قرار الايمان وشهادة الخضوع

البطرك حاولًا ليعرّف اولاد الكاثوليك وجاء الى ماردين واخذ كنيسة مار ايليا. وبقيتُ اروح اخدم على يدهِ القداس انا وبقية الشمامسة الكاثوليك وكنت المُ له في الاسبوع قرشًا ونصف لانهُ كان فقير الحال وصاحب عيلة وما يعرف من الطلم شيئًا. امّا امرأته فكانت خبيثة فانحصرتْ منهُ كثيرًا وتركتهُ وراحت الى دياربكر فراح بعدها وما رضي يخالط الهراطقة بل كان يروح يقدس عند الباطريّة (١ وعند مار يوسف والمرأة تشرّر عليهِ (٢

وبعد ذلك صار طاعون في دياربكر ومات اولًا القس قرياقوس الذي رسمهُ البطرك مار يوسف في ماردين ومات من بعده مار يوسف وشمامستهُ وقسوسهُ حتى لم يبق معهم الّا مطران وحدهُ الذي تخلّف في الكرسي وتسمّى مار يوسف الثالث

امّا ماردين فان الهراطقة منذ تشرين الاوّل صاروا يحكون اصناف الحكايات في السوق ويقولون انّ الامير قد انعزل واكّدوا الامر. فصار هذا الكلام شائعًا في المدينة كلها حتى سمعهُ الامير وسأل عن قائلي القال وضاربي الرمل فاخبروهُ عن ابن دروان والشماس عازر والقس يوسف ابن القس الاجوردي فبعث وحكم عليهم وغرّمهم ثلاثتهم غرامة ثقيلة وحبس القس يوسف. وبعد ذلك بأيام انعزل الامير. وقبل عزلهِ بعشرين يومًا جمع من اعيان ماردين عشرين واحدًا واخذهم وراح الى دياربكر حتى يشهدوا لهُ قدام قاضيها انهُ ما عمل عليهم ظلمًا. وكان الخواجا اسحق قد مات في تلك السنة

وبعد مدّة جاء الحاكم الجديد الى ماردين ومرّ بدياربكر فابصر فيها اعيان ماردين فاغتاظ منهم وجاء الى ماردين وحبك اهلهم واخوتهم روضعهم في الدرغ (٣ واخذ منهم غرامة مقدار ثلاثين كيسًا وامسكتُ انا معهم ايضًا في الآخر وبقيتُ خمسة وعشرين يومًا مع الخواجا نعمه الدوزلي ومع ابراهيم بن طوبال وكانوا كل يوم يهدّدونا في الدرغ ويقولون: انكم من اهل ابن طازباز. وبعدها بثلاثة اشهر امسك ايضًا ناس

١) نرجّح انهُ يريد الآباء الكبُوشيين الذين دخلوا دياربكر في اواسط القرن السابع عشر

٢) تشرّر عليهِ اي تثير عليهِ الشرّ. هنا ينتهي النقص الواقع في نسختنا الاصلية واتممناهُ من نسخة الخوري ابراهيم حلوجي

٣) لفظة فارسية بمعنى الحصن والقلعة والسجن

من ادهام (١ المراطقة لانهم تحاوروا عليَّ قائلين انهُ قد عمل في بيتهِ مَسيفة (٢ . فبيَّنت كذبهم للامير

وبعد هذا راح الامير الى اسطنبول واخذ الحكم ورجع لكنَّ الحاكم العتيق لم يشأ ان يدخلهُ وصار بينهم منازعات كثيرة لا حاجة ان نكتبها لأنها تدوِّخ راس من يسمعها . وبعد المنازعات استولى الامير على المدينة وشتت من امراتهـا واعيانها نحو عشرين واحداً

وفي تلك الايام وقع في يدي مكتوب من اليعاقبة في حق الامير لو اريتهُ لهُ لكان حرقهم باجمعهم فبعثوا طلبوني ليراضوني وتوسلوا من المطران احنرخ (٣ ان يرسمني راهباً على دير الزعفران . فهذا المطران كان رجلاً كاثوليكياً شابّاً خائفاً من الله فرسمني على نيَّة البيعة المقدسة وقبل ان يرسمني أراني صورة ايمانه يحرم ما تحرمهُ البيعة المقدسة ويؤمن ما تؤمن بهِ . وهو كان طورانيّ (٤ الاصل . وفي اليوم الذي ارتسمت بهِ شتت الامير ابنَ الجلّ في قرن باب الصور (٥ . وكان هـذا الشقي يقول: « اني ارضى بان يكون حبل يوضاس الاسخريوتي في رقبتي ان تركت ابن الكزبر يصير قسّاً » فاعجوبة الله انا ارتسمتُ الصباح وهو انشتق المساء بعد ان سمع خبر رسامتي

والاحد الثاني بعد رسامتي جاءت الخواجكيـة (٦ باجمعهم ورأوني اقدّس في دير الزعفران منفرداً عن المراطقـة . ففي وقت المساء ارادوا ان يكلموا رئيس الدير لكي يفرد لي مكاناً للقدّاس بغير المراطقة فقلت لهم: « انَّ الربيع على قول المثل ما يصير بزهرة واحدة فاتركوني اعمل كما اريد » . فأكلوا وشربوا ويوم الاحد المساء عادوا الى بيوتهم

ويوم الاثنين قمتُ انا وجيستُ الى ماردين وكان لي صديق يسمَّى ابراهيم بن كوّة وكوّة اسم امه فقلنا لها ان تدخل عند امراة الامير وتطلب لنا منهُ بيعة مار اليا (٧ التي

---

١) اي الوجوه والذوات ٢) المَسيفة مسل السيف

٣) لا ذكر لهُ في تاريخ حضرة القس اسحاق ارملة

٤) اي من طور عابدين مقام اليعاقبة في الجبال المجاورة لماردين

٥) احد ابواب ماردين شرقيًّا من جهة دير الزعفران . في قربهِ قرن مرتفع

٦) يريد الاعيان والذوات من طائفة اليعاقبة ٧) هذه البيعة في سفح جبل ماردين جنوباً

في ضيعة جفتلك (١ وكانت القرية لامرأة الامير فقالت هذه لزوجها فكتب لي دسكرة (تذكرة) وسهرها (ختمها) فجاءتها كرّة واعطتني اياها فاخذتُ معي ابراهيم واربعة شمامسة وكم واحد من العوام وكان وقت الصوم الكبير واخذت معي ابراهيم لانَّ اباهُ كان مربيع (٢ الامير واذ كنّا في القرية نظرنا قد جاء القس سعيد بن القس هامو ليقدّس فأريناهُ الدسكرة فرجع الى الدينة وبدأ من الطريق يردّ الزوّار ويقول لهم : انَّ مار اليّا ضبطوهُ الفرنج . فبعضهم ارتدّوا والبقية قالوا: نحن نزور القديس (٣

واجتمع في ذلك اليوم مقدار مائتي رجل غير النساء والصبيان فقدّستُ وكرستُ. والاحد الثاني اتيت بجميع اولاد الكاثوليكيين وكانوا كلهم يجلسون على ركبهم وكل واحد كتابهُ بيدهِ ويصلّون . ثم اتوا اهل قرية القصور فكانوا ينظرون ويتعجبون وكنّا نخرج من الصلاة ونجلس كلنا جميعاً ونخلطون ما كولهم وشربهم جمعةً وياكلون ويشربون ويمجدون اسم يسوع وبقيت انظر الناس يزدادون ازيد وازيد . ولكن لم يكن بيدنا دستور لاستماع الاعتراف فيوم جمعة الاربعين جاءتنا ورقة الدستور من حلب . وكانوا الباطريّة اجتمعوا وكتبوا لنا دستوراً قائلين: « على حسب ما شهدوا لنا فيكم واخبرونا عنكم نمنحكم دستوراً وحلولاً مثل ينبوع الحياة من نعمة البيعة المقدسة » فقدّمنا الورقة للقس موسى بن الحصرم (الكلداني) فكشف رأسهُ واعترف اوّل الكل عندنا

ويوم احد الشعانين عرّفت جميع اولاد البيعة من الكاثوليك بمار اليّا وقرّبتهم وكان عيد البشارة في تلك السنة يوم قداس الخميس (اي خميس الاسرار) فعرّفت اكثر الناس في بيوتهم فالذي امكنهُ جاء ليتناول عندنا والبقيّة جبنا لهم القربان للمدينة فتناولوا . ويوم جمعة الآلام والسبت ليلة العيد الكبير رحنا ونحنا في مار اليّا واتوا اهل الضيعة كلها واتوا عندنا وكنّا مقدار اربعين رجلاً وقدّسنا في الليل . ثم بقينا كل احد وعيد نروح نقدّس في مار اليّا فشاشت (هاجت) الهراطقة وانحدروا جدًّا وانعزل منهم شمامسة وشعب كثير واتوا الينا

وبعد ذلك كتبوا الهراطقة مكتوباً وارسلوهُ للبطرك في حلب واخبروهُ بجمع

---

١) الجفتلك الارض الخاصة بالسلطان يتولاها باسمهِ بعض العمّال

٢) اي وكيلهُ وشريك في ربع المحصولات ٣) اي مقام اليّا النبيّ

هذه الاحوال قعرض الحال لاسطنبول واخرج فرماناً في حقي. ففي اليوم الخامس من شهر كانون الثاني ليلة الدنح (الغطاس) وكان يوماً شاتياً ونحن مجتمعون اذ جاءنا ساعٍ من حلب ومعه دَرْجة مكاتيب وفيها صورة الفرمان فجاء الى السوق وسأل المقدسي مرزا ابن قازداغلي عن بيت الامير فدعا الخواجا عبدال وأراهُ الساعي فاخذهُ وراح الى عند الامير فسلَّم لهُ المكاتيب والفرمان. فقرأوا المكاتيب وكان البطرك ارسل مكتوباً لكل ضيعة ولكل رعيث (رعيَّة) وكتب للامير ايضاً وذكر في مكاتيبه للرعايا ان يجتمعوا كلهم ويتوسلوا من الامير ان يأمر بقتلي وايش ما اراد يعطوهُ

فلما قرأ الامير هذه المكاتيب ارسلها لاصحابها وشاش (وشاع) الخبر في السوق انهُ قد جاء فرمان في حق القس ايليا من اسطنبول. وكنت ذلك النهار في بيت الشمّاع فجاء الخواجا ملكون وهو مغبون (حزين) فقلت لهُ: ما لك مغبون هلقدر. فقال: كيف لا اتغبن وقد خربتَ بيتنا. فقلت لهُ: لاي سبب. قال: ان البطرك قد اخرج فرماناً في حقك وارسلهُ مع الساعي الى الامير ليأخذ رأسك. فبدأوا كلهم يبكون. وقال لي قوم منهم: اهرب لئلا يجوا ويجدوك عندنا

فقمتُ واخذت عباءتي على رأسي وما صفَّيتُ ألا عند الامير فلاقاني اخاويش طالعاً من الرصيف فاخبر الامير فدعاني الامير ودخلت اليه فقال لي: من جابك. فقلتُ: ما احد جابني انا جيتُ فقال: لماذا جيت. قلت: ايها الامير سمعت ان في حقي فرماناً وفرمان السلطان على الرأس والعين لاني اعطي للسلطان جزية الراس فان اراد راسي يكون فداهُ. فضحك الامير. فقلت لهُ: لماذا تضحك. فقال: لو كان فرمان ما كنا نخليك الآن حيّاً لكن جاء امر لاهل الشرع ان يجتمعوا ويقتلوا قباحتك فان كانت تستوجب القتل نقتلك. فقلت: ايها الامير هذا الفرمان ليس هو في حقي بل هو في حقك لانَّ هؤلاء ما يحبُّونك تحكم عليهم وانت اسمك قد ذاع في الدنيا كلها وما كنت تقدر انت تطلع من حقي فتركوك واشتكوا عليَّ لاسطنبول. فقال الامير: لا تخف اليوم انا اعملك بطركاً وانزل ابوهم (اباهم) على ابو (ابي) الكتاب. فقلت لهُ: انا ما لي طاقة في البطركية. فقال: روح الى كنيستك وان يحدث لك شيء اعلمني

ثم ارسل الامير وجاب وكيل البطرك وقال لهُ: اكتب للبطرك ان يجيء هو ويدعي

(ويقيم دعوى) مع القسيس ». فراح لهم دراهم كثيرة وكتبوا مكاتيب للبطرك وارسلوها مع الساعي قائلين: قوم تعال بالعجل والّا البطركية قد راحت من يدك لانّ الامير قال لابن الكزبر: اريد اعملك بطركاً. وحكوا لهُ ما جرى لهم. فالساعي مرض في الطريق والمكاتيب ما وصلت للبطرك الّا في سبّة السعانين فيوم جمعة الاربعين طلع من حلب وعيّد السعانين في الطريق وكذلك سبّة الآلام والعيد الكبير. وفي الاحد الجديد وصل الى يزلي (١ وبعث يتوسّل الى الخواجا عبدال ان يطلب لهُ من الحاكم دستوراً ليدخل الى ماردين وبعث للامير ازيد من خمسمائة قرش پيشكاش (٢ فاخذ لهُ دستوراً

وجاء البطرك الى دير الزعفران في الاحد الذي بعد الاحد الجديد . وفي يوم الاثنين جاء الى الاربعين (٣ والثلثاء الى مار (مرت) اشموني والاربعاء الى مار ميخائيل (٤ . امّا نحن فكنّا لا نزال نذهب الى بيعة مار اليّا. ففي ذلك اليوم رأينا الناس جوقات جوقات نازلين معنا. وكانت افراس الامير ترعى في الجاير (٥ قدّام مار ميخائيل فقال واحد من الخدّام (وكان جاويشاً) للبطرك: لماذا ما يقبل هذا القس يطيمك. قال: ايش اعمل معهُ الامير ظهيرهُ والامير ارسلتُ لهُ فرماناً فما عمله. فمضى ذلك الجاويش المساء واخبر الامير. فارسل الامير خلفي مع ابن چوپر وكنت انا في بيت الشماس يلدُه الكلداني. فدلوه عليّ فجاء اليّ وقال: انّ الامير يريدك روح انت وحدك وانا اروح اجيب البطرك

فرحتُ ودخلت لعند الامير فقال لي الامير: في بالك هو ذاك الكلام الذي قلتهُ لك اليوم الذي بعث البطرك عليك الفرمان. قلتُ لهُ: نعم. فقال: ذاك الكلام تقوله قدّامهُ. واذ نحن هكذا والّا جاء البطرك وجاب معهُ الخواجا ايشوع دلوبالطه (كذا) وابن القس مرزا وابراهيم القوّاق فدخل هو والخواجا ايشوع لقدّام الامير والامير بقي يتمشوّر وما يلتفت اليهما وهما قائمان في سلامهِ وانا جالس في جنب الديوانخانه

---

١) قرية بين ماردين وديار بكر ٢) اي هدية وهي كالبخشيش

٣) اي كنيسة الاربعين شهيداً في ماردين

٤) كنيستان للبيعة الواحدة على اسم السبعة المكابيين واسمهم اشموني. والاخرى على اسم مار ميخائيل وكلتاهما خارج المدينة ٥) لفظة تركية بمعنى المرعى والمسرح للمواشي

مقابل الامير حتى امرهُ ان يطلع الى فوق ويجلس ثم قال لهُ : هـذا هو الراهب الذي اشتكيت عليه وبعثت عليهِ الفرمان ؟ فقال : نعم يا امير هذا هو وهو ابني وانا قد رسمتهُ شماساً والآن قد صار قسيساً وانت قد اخذت واعطيتهُ كنيسة مار اليا وانت افتديتها انت ايش ما حكمت على الراس والعين . فقال الامير : هل الاب يريد يقتل ابنهُ انك بعثت عليه صورة فرمان وانا اردت ان تحميهِ وتريني الفرمان ايضاً . قال البطرك : الفرمان عندي . فقال : جيبـه (جيْ بهِ) . فقال : امهلني لغد

وكان معي اخي واقفاً برًّا (خارجاً) فقال البطرك : هوذا وكيلك واقف خلهِ يروح يجيب الفرمان . فقال الامير : من هذا . قلتُ : اخي . قال : فاين الوكيـل . فجاء فاخرج مفتاح السبَت (١ من جيبهِ واعطاهُ للوكيـل وقال : افتح السبت وفي فم السبت كيس ابيض مختوم جيبه (جيْ بهِ)

فلما راح يجيب الكيس قلتُ للبطرك : « يا بطرك انا كلّي انسان حقير انا ايش اكلتُ منك . انت تأكل من باب لسطنبول الى باب بغداد وتسلب مال هلقدر (هذا القدر) ناس وانا بامر الامير اخذت لي هذه البيعة الخربة ومن الاحد للاحد اروح اصلي فيها وانت لاجل هذا تمضي تشتكي عليَّ الى السلطنة أما كان هاهنا حكمٌ وشرعٌ لتبين قباحتي وحاكم الوقت يطلع من حقي ؟ فقال : الذي صار صار . الله قبيل المفسدين

واذ نحن هكذا جاء الوكيل وجاب الكيس فاخذ الامير الكيس وفتحهُ واخرج منهُ الحجج التي هي من عشرين سنة وجاني مع الفتوات والقرامين وجميع الشرور التي عملها هو والبطرك خاله ثم اخرج الفرمان الذي كان عندهُ صورتهُ فسلك الصورة بيدهِ واعطى الفرمان لكاتبهِ وامرهُ بقراءتهِ وكلما يقرأ قليلاً يقول الامير البطرك بتعزيل (بتوبيخ) : « من تكون يا بطرك حتى تلعب في فرمان السلطان » لانَّ الصورة طلعت زوائد على الفرمان في كلام كثير . ثم قال لهُ : في هذا الوقت اريد ارفعك الى القلعة وارسل هذا الفرمان وصورتهُ الى اسطنبول للسلطان حتى نُبصر مَن في مملكتهِ تجاسر وعمل هذا العمل . فقال البطرك : ايها الامير هذا ما هو ذنبي بل هـذا ذنب الكاتب . فقال : ايش كان يعرف الكاتب هذا الكلام

(١ السَّبَت كالسَّفَط بمعنى القفّة والصندوق

ثم امر برفع البطرك فوقع الخواجا ايشوع على أقدام الامير قائلاً: ان البطرك رجل كبير السن ومريض فنحن نكفله. فصرفهُ وبقيتُ انا فقال لي: امضِ اقعد في اوضة الكاتب فان لي معك شغلاً. فجاءوا العشاء وتعشينا وبعد العشاء دعاني وقال لي: لا تخفْ فقدّاً اذا ارسلتكم للشرع اندع (تحاجج) مثل ما يعجبك. وكنت قلتُ للامير أنا سألني ايش بينكما فاخبرتهُ بالقضيّة: انَّ هؤلاء (اليعاقبة) يقولون انَّ الله الواحد بطبعهِ الشريف اللطيف قد مات ثم يقولون انَّ يوحنا ما قام آخر شبهٌ لا في الاولياء ولا في الانبياء. ويصلّون لهُ قائلين: ربّنا ترحّم علينا وربّنا تحنن علينا وربّنا اقبل صلواتنا وطلباتنا. ويقولون: «ربّنا يوحنا» عشرين مرّة. وغير هذا الذي اخبرتُ عنهم الامير. فقال لي الامير: ان ثبتت واحدة من هذه فقط حلَّ فيهم السيف. فقلتُ لهُ: لاجل هذا يا امير انا انعزلت من بينهم. والامير كان يعرف كل هذه الامور

ففي صباح تلك الليلة قبل انشقاق الفجر جاؤوا الى عندهِ وتوسّلوا اليه واعطوهُ سبعمائة قرش فاخذ الدراهم وعند الصباح راح الى البستان. واذ كان في البستان جاء اليهِ القنبوري مطران القدس واخو البطرك المغريان متى ودفعا لهُ خمسة اكياس دراهم ليقتلني. فلمَّا جاء الامير من البستان اخبر الى عيسى بك بذلك وقال: ودِّ القس الى اوضتك وقيدهُ. فودّاني وضرب القيد في رجلي وحكى لي بالقضية وسمعتُ الخواجكية ايضاً

وفي ذلك اليوم راح البطرك اسحيقه للدير (اي دير الزعفران) وجمع كل المطارين والرهبان ومُريديهِ (اصحابهُ) تماماً اغنياء من الشعب رجالاً ونساء وتشاوروا على قتلي فكان بينهم امرأة عوراء بعين واحدة يقال لها امرأة حَبل الزنى. فهذه في تلك الساعة اعطت ثلاثمائة قرش لاسحيقه ثمن قتلي واغاروا المطارين ايضاً وكل واحد منهم قرّر قرذ شي (اي مبلغاً معلوماً) وكتبهُ عليهِ فكتبوا تمسُكاً (اي قراراً) وختموهُ كلهم باربعة عشر كيساً وكان التمسك مكتوباً بالعربي وارسلوهُ للامير قائلين: «قد اخذتُ منَّا الذي اخذت فهو حلال عليك وقد (قرّر) الآن المطارين لك خمسة اكياس وهذا تمسُك اربعة عشر كيساً ثمن دم ابن الكزبر ندمهُ في رقبتنا قدّام الله وان كان اخوتهُ اشتكوا الى السلطان فجواب السلطان علينا». وارسلوا التمسُك الى حَرَم الامير مع امرأة طورانيّة في بقجة قماش تساوي مائتي قرش

فلمَّا فرَّقت الخواتين الاقمشة بينهم (بينهنَّ) وجدوا (وجدنَ) التمسك فيها فاعطوهُ (فاعطينَهُ) للامير. فلمَّا قرأهُ الامير تعجَّب من قساوة قلوب هؤلاء وارسل فدعا ثلاثة من الخواجكية الخواجا عبد المسيح ابن الخواجا اصلان والمتقدمي عبد الاحد ابن القس عرديش (عبد يشوع) والخواجا ميدال وقرأ التمسك قدَّامهم فالواحد منهم قال: خذ الدراهم واقتلهُ. والآخر قال: انت تعرف أيُّها الامير ان تجيب حمل قطن فاندفهُ ولفَّ هذا القس ايليا فيهِ وخبِّهِ وكلما تحتاز (تحتاج) لدراهم أظهرهُ. فضحك الامير فجاء عيسى بك وحكى لي كل شيْ

وعند العشاء دعاني الامير وأراني التمسك وقال: ايش تقول. فقلتُ: العصا في يدك. لو كان هؤلاء قدروا ان يقتلوني كان كلْ (١ قتلوني من زمان انا دمي اطلبهُ منك يومَ الله اليوم العظيم لانهُ ما لي شر على احد. فقال لي: يا راهب انت كيف تعرف فعلَّمني حيلة لآكل هذه الدراهم من هؤلاء القوم. فقلتُ لهُ: غدًا من الصباح حطَّني في الزنجير وأرسل قُل لهم «جيبوا الدراهم حتى اقتلهُ» ولمَّا تكمل الدراهم قُل لهم: «امضوا سجلوا عليه قباحتهُ لاقتلهُ وأرْصِ انت القاضي حتى يسمع دعواي فأندعي انا عليهم بذلك الكفر الذين يكفرون». فضحك الامير وقال: الله ينصرك عليهم

وفي الصباح ادخلني الى الزنجير وحطَّ في رقبتي طوقين. فجاء اهل قلعة مرا واصروني هم والداشية ومضوا فاخبروا السجقه. اما الامير فبعث طلب الدراهم ليتلوها (ليدفعوها) لهُ. فاعتذروا قائلين: اننا قد بعثنا بتدبُّن دراهم من ديار بكر

وما مرَّ علينا سبعة أيام والا اهل الصراي قد شاشوا (هاجوا) فسألنا: ما هو الخبر. قالوا: انَّ متسلماً جديداً جاء من حلب وقد اعطى السلطان ماردين لطوپال يوسف باشا امير الحاج وهو جاني الى هذا البلد. فلمَّا وصل المتسلم ارسل وطلب الزنجير فاخرجني الامير من الزنجير وارسل بقيَّة من كان فيهِ من الاكراد وغيرهم للمتسلم.

ثاني يوم صباحاً جاء اليساقية وجابوا معهم الخواجا اصلان ابن عياجان الكلداني وطلبوا الدراهم والاقمشة التي كانوا اعطوهُ اياها سابقاً من اجلي فما قدر الامير ان يرفضها فاعطاهم كل شيْ طلبوا واغتاظ منهم غيظاً عظيماً وبعث وراني وقال لي:

---

١) لفظة «كل» من زيادات لغة ماردين يزيدونها على الافعال فيقولون: «كلْ اكلتُ» اي اكلتُ

اريد آخذك معي الى اسطنبول واريد من الله ان يطيني حكم ماردين ثاني نقلة (دفعة) حتى اصلب من هؤلاء الكفرة عشرين واحداً حتى تتعجب الخلق يقولوا: كيف مثل هؤلاء ينصلبون. ثم شجعني وقال لي: لا تخف. وبقيت ذلك اليوم ايضاً في اوضة عيسى بك. وتلك الليلة بعثوا البعض من الخواجكية وقالوا لي: ان كنت تقدر تهرب اهرب. وجاء اليَّ اخي وبات عندي واراد ان يهربني فما رضيت بذلك وقلت: انا متوكل على سيدي يسوع المسيح وعلى مريم العذراء وعناية البيعة المقدسة

وفي ذلك النهار عند المساء وكانت ليلة عيد السيدة نصف ايار (لعلهُ يريد نصف آب) تركوا اليعاقبة صلاتهم واجتمعوا جمهوراً كبيراً بينهم كهنات القصور والمتصورية وبنيبل وقلعة مرا والشعب ايضاً من ثلاث مراعيث وجاؤوا فاشتكوا عند المتسلم على الامير وقالوا: لنا عندهُ راهب ممسوك ولنا معهُ دعوى كبيرة فهو قد سلَّم لك المسوكين ولم يسلم ممسوكنا

فارسل المتسلم للامير اثنين من الآغاوات فاخبروا الامير وطلباني منهُ. فجاء عيسى بك وقال لي: قوم والبس قبَّاعتك ولفَّتك وصوتك لانَّ جماعتك اشتكوا الى المتسلم وبعث يطلبك من الامير. فقمت معهُ وحضرت قدَّام الامير فقال الامير للاغاوات: هذا الراهب. فسكني كلاهما كل واحد من كتف ونزلاني في الرصيف. وكان الخلق قد خرجوا يتفرَّجون مسلمين ونصارى وبقيت ممسوكاً بينهم حتى وصلوني الى قدَّام المتسلم. فقال لهم بالتركي: هذا هو الراهب؟ قالوا: نعم. فقال: ارفعوهُ للزنجير. فأحاطوا بي الجند واخذوني ورضعوني في رأس الزنجير

وفي تلك الليلة راح من اليعاقبة ناس امند البكباش واعطوهُ خمسين قرشاً قائلين: أعطهِ جزاء ليموت في الزنجير. فوقت العشاء اخرجني من الزنجير وكان قد نقع كندير (حبلاً) وشدَّني بالزلط الى النصف وربطني في الكندير وجاب مزداراً ومزمار (١ الكندير حتى غبتُ عن وجدي (اي عن حواسي) وتركني مشوار. وبعد ذلك لمَّا قاربت الموت تقطع الكندير بالخنجر وقلب (كبَّ) عليَّ جرَّة ماء فبدأ جسدي يتململ ففقتُ وفتحت عيني فبدأ يضربني بالقرباج ويقول لي: «افرنجي افرنجي» ويضرب. وكان هناك احد صريدار (٢

١) المزمار آلة تلوى بها الحبال

٢) الصريدار تصحيف السرايدار اي وكيل السراي

رجل شاب من طائفة الارمن اسمهُ مراد ابن ازياد فبدأ يبكي عليَّ ويلعن قساوة اليعاقبة وبقوا يعاقبوني الى نصف الليل ثم طرحوني في الزنجير لاميّت ولا حيّ

ثم عند الصباح جاء اليَّ اخي وابصرني في تلك الحالة فسألني: هل تحصيل الملكوت هو هين فان كنتَ لا تقدر تصبر على هذا العذاب فكيف تقدر تصبر على عذاب المطهر ؟ واعلمني ان انبارحا (اي الليلة البارحة) راح الخواجا توجان ابن الخواجا اسحق والخواجا اصلان ابن عيسا جان وانا معهما الى القاضي واقرّا (نقدًا) لهُ ثمانين قرشاً ابا كلب ووضعا عنده زوجين اخصور (اي اسوار) وكترين وزنجيرًا وتوسّلوا منهُ ان لا يعطي في حقّك حجّة القتل. فهو حلف لهما بالطلاق أنهُ لا يعطيها ولو دفعوا لهُ اليعاقبة الف قرش

فمضى اخي من عندي وراح فحكى للخواجكية ما صنع بي البكباشي وكذلك الصريدار المذكور راح فاخبرهم فراح احدهم الى عند الامير واخبرهُ بالقضيّة فركب الامير وجاء الى عند المتسلم وقال لهُ: «انا كنت خلّيت هذا الراهب عندي لحين ما يجي يوسف باشا حتى ابرّهُ لهُ بيشكاش لانَّ اعداءهُ قد اعطوني عشرين كيسًا حتى اقتلهُ وانبارحا (امس) كان يريد البكباشي ان يقتلهُ ويروّح العشرين كيسًا». فبعث المتسلّم وصاح (دعا) البكباش وقال لهُ: لماذا عملت هكذا انا قلت لك حطّهُ في الزنجير فهل قلت لك عاقبهُ. فقال: انَّ اعداءهُ جاؤوا وبرطلوني كي اعاقبهُ. ثم نزل اليَّ رجل يقال لهُ يوسف اغا وسلّاني واخرجني من الزنجير وضربني في القيد وبسط لي حصيرًا باشتا (منفردًا)

فثاني يوم من الصباح قالوا انَّ الحاكم خليل آغا قد جاء وعملوا لهُ هلاي (حفلة) كبيرة. ولما وصل ما رضى ان يجيّ ينزل في بيت يعقوب باشا فنزّلوهُ في السراي العتيق. فوضعني الاوديباشي في الزنجير وحمّلني بقيّة الزنجير. وكان قد اخذ عشرة احمال حشيش فحمّلها المحبوسين وحمّاني ايضاً فوق الزنجير اربع فتل حشيش. واذ نحن جاؤون فوق سطوح الصانعين لاقاني القاضي وسأل قائلًا: هذا هو الراهب. وكذلك المفتي والاعيان وكان صباح الاحد في زمن الصيف وكانت المدينة كلها قد اتت الى الفرجة مسلمين ونصارى رجالًا ونساء (التتمّة لعدد الآتي)

ملحوظات على مثلث قطرب

لجناب السيد لي مراد افندي بارودي

بعود حضرتكم في المشرق لشهرنا الحاضر (صفحة ٦٨٥) الى الكلام عن المثلث المنسوب لقطرب وايرادكم شرحين من اقدم الشروح وقد وجدتموهما في مكتبة برلين وهما منسوبان الى عبد العزيز الديريني المصري المتوفى سنة ٦٩٤ للهجرة الى آخر ما جاء في التوطئة على المثلث المذكور ارجوكم ان تفسحوا لي مجالاً في مشرقكم الزاهر فآتي على ذكر ما استفدته في هذا الموضوع بناء على توفيقي موخرًا الى امتلاك نسخة من هذا المثلث كُتب على ظهر ورقتها الاولى العنوان الآتي « كتاب المثلث تاليف ابي الحسن علي ابن احمد البصري المعروف بقطرب رحمة الله عليه وهو تسعة وعشرون نوعاً » وفي الصفحة الاولى بعد البسملة « هذا كتاب الفُهُ قطرب بن احمد البصري واسمهُ علي ابن احمد رحمة الله عليه . يقال لهُ المثلث وهو حرف تراهُ في الكتاب على صورة واحدة ويتصرَّف على ثلاثة معانٍ » . وتاريخ هذه النسخة كما هو مسطور في اخرها في شعبان سنة ٥٧٣ وهي بالقطع الربعي نوع الخط فيها يقارب النسخي ويجمعهما نسخة من فصيح ثعلب جلد واحد وهما لناسخ واحد وقد جاء في اخر هذه الثانية ما نصُّه : « نجز كتاب الفصيح لابي العباس ثعلب رحمهُ الله بمشيَّة الله وعونه وذلك في العشر الاوسط من جمادى الاوَّل من سنة ثلاث وسبعين وخمس ماية بمدينة قرص »

بناء على ما يفهم من النص اعلاهُ ينجلي لنا أربع حقائق : (الاولى) ان اسم قطرب صاحب المثلث المشهور علي ابن احمد البصري وكنيته ابو الحسين خلافاً لرواية ابن خلكان الوارد فيها لقطرب ثلاثة اسماء يرجح فيها ان اسمه محمد وكنيته ابو علي وتابعه الكتبة من بعده على هذا السهو

(الثانية) ان قطرباً المذكور قد شرح مثلثه نثرًا وليس نظماً كما ستراهُ في الانموذج الذي نلحقهُ بهذه المقالة . فاستنادًا على ذلك ان المنظومة التي اولها « يا مولعاً بالغضب » ويزعم الفريق الاعظم من الادباء الاقدمين والمتاخرين انها لقطرب نفسهِ ليست هي بالحقيقة لهُ بل لرجل آخر . واما ما ارتآهُ حضرة الاديب الفاضل سعادة احمد باشا تيمور

المصري في الصفحة ٩٥٨ من المجلد الحادي عشر للمشرق يقارن السداد اذ جاء مطابقاً لما تشهد لنا به نسختنا المذكورة وقد قال وفقه الله في ختام كلامه من ذلك وعقيب استشهاده بهذين البيتين :

« لما رأيتُ دَلَّه . وهجرهُ وعطله . نظمت في وصفي لهُ . مثلثًا لقطرب »

وهي دلالة صريحة على ان الناظم غير قطرب

(الثالث) ان المادات التي وضعها قطرب لمثلثه تسعة وعشرون مادَّة وهي كما رتبها قطرب نفسهُ نقلًا عن نسختنا مفتوحة الفاء فمكسورتها فمضمومتها :

الغمر . السلام . الكلام . الحلم . الحجر . الدعوة . البيت . الحرّة . السهام . الشرب . الخرق . الشكل . الرفاق . الطلا . الصرَّة . الملا . اللَّحا . السقط . الأمَّة . القسط . القمَّة . الحدّ . العرف . الكلا الجوار . المسك . الحمام . اللمّة . الصلّ

وقد جاءت المادات المشروحة في المنظومة الثانية المنسوبة لابن الديريني كما توهمتم حضرتكم في المشرق اخذًا عن مكتبة برلين والتي اولها : « اذا عاينت سيل الحبّ غمرا » مطابقة لنسختنا في عدد المادات ومخالفة بعض الخلاف في ترتيبها عكسًا للمنظومة الثانية التي تنقلون حضرتكم انها شرح على منظومة قطرب للشاعر نفسهِ اعني ابن الديريني فان عدد المثلثات فيها اربعة وثلاثون مثلثًا » ينقصها ثلاثة الفاظ « الهجر والسقط والصلّ » . وتزيد ثمانية اذا اعتبرنا السقط وهي : « رشا . عَمَر . الزجاج . اللقا . المنة . الظَّلم . القرى . القطر »

(الرابعة) كل من يعارض الشروح العديدة المنظومة بشرح قطرب المنثور يرى في بعض شروح المادّ غلطًا غير مغتفر ولا قابل للتأويل . ولناخذ مثالًا لذلك مادَّتين ولتكونا ايضًا الانموذج الذي وعدنا بهِ في الحقيقة الثانية من هذه المقالة : المثال الاوَّل « الدَّعوة »

قال قطرب : ومنهُ الدَّعوة والدِّعوة والدُّعوة . فامَّا الدعوة فالرجل يدعوك وينـاديك . قال عنترة العبسي :

دعاني دعوة والخيل تَرْدي فما ادري أيسمي ام كنَّاني

فامَّا الدِعوة فالرجل يدَّعي الى قوم ليس منهم . قال الشاعر :

ترعم لي انك من باهلهْ تلك لعمري دِعوة خاملهْ

فامَّا الدُّعوة فهو الدُّعاء في الحرب قال الشاعر :

ودُعرة اقوام تخلفتُ جيهم بجبل ورجل والهُبيدةُ تُنعر

هُبيدة هي الناقة من الابل

(وهذه الاخيرة لم نجدها بهذا المعنى لا في المحيط ولا في التاج)

وهاك شرح ابن الديريني المار ذكرهُ لهذه المادَّة في منظومته:

دعا داعي سلوّي الف دُعرة (الندا) وما دعواهُ عندي غير دعوه (الادعا)
وقد عدَّت بذاك الروح دُعرة (وليمة) رضى لبشري بالوصل نذرا

المثال الثاني « الحجر »

قال قطرب — ومنهُ المَحجر والحِجر والحُجر — فاما الحَجر فهو مقدَّم القميص . قال ابو النامية :

ذكرتك والمشجون ذاكرُ شجوه فما زلتُ اذري الدمع حتى امتلى حَجري

واما الحِجر فهو العقل قال الله عزَّ وجلَّ . هل في ذلك قَسَمٌ لذي حِجر . معناهُ والله اعلم لذي عقل قال الاخطل :

أَلِكَنِي الى آل الصُّيَم رسالة كان ذا راي وذا حِجر (كذا)

(ولم نجد هذا البيت في نسخة ديوان الاخطل المطبوعة بعناية حضرة الاب صالحاني سنة ١٨٩١ ولا نعلم اذا كانت واردة في الملحق الذي طبعهُ حديثاً) . واما حُجر فهو اسم رجل . الخ

وهذا شرح ابن الديريني :

ملكت القلب فاحكم دون حُجر (المح) وهام بكاس حبّك كل حِجر (مثل)
ولو ملك الهوى قلب ابن حُجر (شاعر) لما انشا بجزل القول شعرا

هذا ما توفَّر لنا اثباته استنادًا على النسخة الخطيَّة الموجودة لدينا من مثلث قطرب التي لا يُتارى فيها اذا اتُّخذت حجَّة على ما تتضمَّنه من الحقائق المناقضة لما هو عليه جمهور الباحثين في هذا الموضوع حتى اليوم الحاضر . ومن الواجب ان تبقى كذلك الى ان ياتينا الزمان المستقبل بما ينقضها

وفي الختام نستاذن حضرتكم استدراكًا على ما نقلناهُ بشان المنظومتين المثبتتين في العدد المذكور من المشرق شرحاً لمثلثات قطرب . فكيف يصح اعتبارهما لشاعر واحد (وقد ذُكر انهُ ابن الديريني) وهناك سببان كبيران يتنازعان صحة هذه النسبة الاولى وقد اشرنا اليه وهو عدم اتفاق الشرحين في عدد المثلثات اذا كان في

احدها اربعة وثلاثون وفي الآخر تسعة وعشرون فضلاً عن سقوط ثلاثة الفاظ في الاوّل وهي من اركان مثلث قطرب (الحَجَر والسَّقْط والصَّلّ) كما بيناهُ في محله. والثاني عدم مطابقة الشرحين في تفسير بعض الالفاظ من المثلث. مثال ذلك ورد في المنظومة الاولى شرحاً للقُمَّة :

وكنسُ بيت قُمَّة. وراسُ طود قِمَّة بكسرها والقُمَّة مزبلة لقشب

وفي الثانية :

وكم سُلبتْ من الضرغام قِمَّة (القريعة) ونيلت بالزمائم كل قِمَّة (راس جبل)
اذا رضي الخيار بال قُمَّة (كناسة) فكن رجلاً شريف النفس حرّا

فانظر انهُ في الاوّل فسّر القُمَّة بالفتح كناسة البيت وفسّرها في الثاني القريعة. والاصح ما يأخذهُ الاسد بفيه كما في نسختنا الخطيّة المذكورة. فيكون من الثابت فقط ان المنظومة الاولى هي لابن الديريني والدليل على ذلك صريحٌ في ذيل المنظومة المذكورة اذ يصرّح فيه انهُ هو ناظمها — والله اعلم بالصواب (١

(حاشية) بعد ان كتبتُ المقالة المتعلقة «بمثلث قطرب» عثرتُ على شرح جزء من فهرس مكتبة الاوسكوريال الشهيرة لصاحبهِ المستشرق الفاضل هرتويك ديرنبرج المطبوع بباريس سنة ١٩٠٣ باللغة الفرنسويّة وقد ورد فيهِ ما مفادهُ ان القسم الثاني من المجموعة التي عددها ٧١٨ هو المنظومة الشهيرة اعني بها «يا مولعاً بالعتب والهجر والتجنُّب» وانها بالنصّ الصريح للشيخ سديد الدين ابي المحاسن (بن) مهلّب الدين حسن البهنسي حيث يقول هو نفسه «نظمت مثلث قطرب في قصيدة ابياتها اثنان وثلاثون بيتاً على حروف المعجم». فالحالة هذه قد جاء كلام الشيخ المذكور حجّة قاطعة على انَّ نسبة المنظومة المذكورة الى قطرب هي رواية عارية عن الصحة وقد تناقلتها الالسنة والصحائف بدون تثبت ولا تدقيق. ويستدرك على الناظم الشيخ سديد الدين جَعْلهُ الفاظ المثلث القطربي اثنتين وثلاثين لفظة وقد صرّح الاسناد الى قطرب نفسهِ انها تسع وعشرون فقط كما ذكرناها بباطن مقالتنا

(١) جوابنا على جناب المعترض انَّ اسم ابن الديريني واردٌ بنوع صريح في نُسختي برلين اللتين اخذنا عنهما في ختام القصيدة الاولى وفي صدر الثانية (اطلب فائمة مخطوطات برلين ج ٦ ص ٣٠٦ و٣٠٧ في العددين ٧٠٧٨ و٧٠٨١) ولعلَّ الشروح في الثانية زادها على ابيات ابن الديريني كاتبٌ غيرهُ فحصل بذلك الاختلاف ل. ش

ملحق لحضرة الاب انطون صالحاني

ليسمح لنا جناب الصيدلي المدقق مراد افندي باروديي ان نبدي بعض الملاحظات بخصوص اسم وكنية صاحب مثلثات قطرب فان التنقيب عن هذه المادّة وان يسيرة وغير ذات بال قد لا يخلو من الفائدة

اورد صاحب نزهة الالبّاء في طبقات الادباء (في الصفحتين ١١٩و١٢٠) ترجمة قطرب فقال "واما ابو علي محمّد بن المستنير البصري المعروف بقطرب فانهُ كان احد العلماء باللغة والنحو اخذ النحو عن سيبويهِ وعن جماعة من علماء البصرة وسمي قطرباً لانّ سيبويه كان يخرج فيراهُ بالاسحار على بابهِ فيقول: انما انت قطرب ليل. والقطرب دويّبة تدبّ ولا تفتر... ولهُ من التصانيف... كتاب المثلث... وتوفي سنة ست ومائتين في خلافة المامون" (٨٢١ — ٨٢٢ مسيحية)

وقال السيوطي في تاليفهِ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة (ص١٠٤): «محمد بن المستنير ابو علي النحوي المعروف بقطرب»

وجاء في اللسان (٢: ١٧٧): «وقطرب لقب محمّد بن المستنير النحوي»

وقال ابن خلكان (طبعة اوربة ٦٩٣): «يقول ابو علي محمّد بن المستنير بن احمد النحوي اللغوي البصري المعروف بقطرب... ويقال انّ اسمهُ احمد بن محمّد وقيل الحسن بن محمد والاوّل اصحّ والله اعلم بالصواب»

وفي كشف الظنون ورد ذكره خمس عشرة مرّة (طبعة اوربة ١: ٣١٢ و٣: ٣٥٥ و٤: ٢٤٦ و٢٠ و٣٢٤ و٥: ٣٩ و٤٣ و٤٤ و١٠٧ و١٣٢ و١٣٨ و١٧٢ و ٣٧٤ و٦١٨ و٦: ٣٨٨) وفي كل هذه المواضع ورد تعريفه هكذا «ابو علي محمّد بن المستنير المعروف بقطرب النحوي المتوفى سنة ٢٠٦» الّا انهُ في الصفحة ٣٨٨ من الجزء السادس سماه محمّداً المستنير لا «ابن المستنير» وفي رأينا ان الكلمة «ابن» في هذا الموضع سقطت سهواً من النص

ولا بأس ان نورد ما جاء في كشف الظنون (٤: ٣٢٠) فانهُ يطلعنا على كثير من المثلثات. قال:

« الدرر المثلثة والدُّرر المُبَثَّثة للشيخ الامام مجد الدين ابي طاهر محمَّد بن يعقوب الفيروزابادي المتوفى سنة ٨١٧ . . . ذكر فيه انهُ جمع جميع ما في كتب المثلثة كقطرب والقزّاز والبطليوسي وابن مالك وابن عبد الله الحنبلي وابراهيم بن زهر البصري وكتاب الباهر لابن حديس وذكر انهُ كان قد وضع على قسمين الاوَّل في المثلث المتفق المعاني والثاني في المختلف المعاني فجاء القسمان في خمس مجلَّدات ثم افرد القسم الاوَّل في هذا التاليف على ترتيب الحروف

وقال في الصفحة ٣٧٣ و ٣٧٤ من الجزء الخامس :

« مثلَّث في اثنتا . اول من وضع فيهِ ابو علي محمد بن المستنير المعروف بقطرب النحويّ المتوفى سنة ٢٠٦ وهي اثنان وثلاثون بيتًا اولها « يا مولدًا بالنضير » شرحهُ سديد الدين ابو القاسم عبد الوهاب بن الحسين الورّاق بمدينة جنيسة توفي سنة ٦٨٥ والشيخ ابراهيم اللخمي وابن زهير والقزاز ابو عبد الله محمَّد بن جعفر القيرواني النحوي المتوفى سنة ٤١٢ وابن عُدَيس — مثلَّث لجمال الدين محمد بن عبد الله ابن مالك النحوي المتوفى سنة ٦٧٢ وابي محمد عبد الله بن محمد البطليوسي النحوي المتوفى سنة ٥٢١ وعزّ الدين محمد بن ابي بكر ابن جماعة توفي سنة ٨١٩ وابي حفص عمر بن محمَّد القضاعي المتوفى في حدود سنة ٥٧٠ في عشرة اجزاء . وللشيخ مجد الدين ابي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزابادي المتوفى سنة ٨١٧ وهو كبير في خمس مجلَّدات وصغير في خمسة اجزاء اولهُ : اشرف ما نطق بهِ المصدع المحدث الخ . رتَّب على الحروف »

فينتج من كل ما اوردناهُ ان اسم صاحب مثلَّث قطرب هو محمد لا احمد ولن كنيته ابو علي لا ابو الحسن وانهُ ابن المستنير او ابن احمد المستنير فيكون المستنير لقب ابيه احمد

ولا يُضعف ادلَّتنا كون نسخة مراد افندي بارودي هي قديمة العهد ترتقي الى سنة ٥٧٣ فان نسبة الغلط الى كاتب فرد اهون من نسبته الى علماء كثيرين اطلعوا على تصانيف مختلفة لقطرب تنيف على ١٧ كتابًا وعرَّفوهُ وتحققوا منها اسمهُ وكنيته فلا يصدَّق انهم كلهم غلطوا في ذلك

امَّا ما لاحظهُ جناب مراد افندي البارودي بخصوص بيت الشعر المنسوب للاخطل فنوافقه في انهُ لم يرد لا في الديوان ولا في الابيات التي وقفنا عليها منسوبة للاخطل فجمعناها في ذيل الديوان ولا في الملحق الذي عُنينا بطبعهِ هذه السنة ولا في النسختين البغداديَّة واليمنية ولا في نسخة نقائض جرير والاخطل المحفوظة في المكتبة العموميَّة بالاستانة . وهذا لا ينفي كون البيت للاخطل . الَّا اننا لم نجد فيهِ ملامح من شعر الاخطل . ولا يخفى انهُ يوجد شعراء يُلقَّبون بالاخطل غير الاخطل المشهور . فقد عدَّ

الآمدي في المؤتلف والمختلف مَن لُقّب الاخطل اربعة احدهم التغلبي النصراني والثاني الاخطل الضبعي كان شاعرًا وادَّعى النبوَّة فاخذهُ ابن هبيرة في دولة الامويين فأمر بهِ فضُربت عنقه . والثالث الاخطل المجاشعي وهو الاخطل بن خالب اخو الفرزدق وكان شاعرًا وانمَّا كسفه الفرزدق فذهب شعرهُ . والرابع الاخطل بن ربيعة بن النمر بن تولب (راجع الصفحة ٢٢١ من الجزء الاوَّل من خزانة الادب والاغاني ١٢ : ١٥٦) والقاموس والتاج في مادة خطل) . فمن المحتمل ان يكون البيت لاخطل غير الاخطل التغلبي

ميمر

لاسحق النينوي في اكرام الصليب

معرَّب بقلم المحوري بطرس عزيز نائب بطريرك الكلدان بحلب

في كتاب اسحق النينوي الذي نشرهُ حديثًا حضرة الاب بيجان العازاري المحترم ووصفهُ في المشرق الاغر (ص ٢١٥) القس اسحق ارملة السرياني ميمر نفيس في اكرام الصليب المقدس رأينا ان نترجمه لقرَّاء المشرق بمناسبة عيد هذه الراية الخلاصيَّة وذلك اوَّلًا ليكون أنموذجًا لانشاء المؤلف وتضلعهِ في اللاهوت . وثانيًا لنكمل بهِ ما كنَّا كتبناهُ في المشرق يومًا عن اكرام الصليب والصور عند النساطرة (١ قال :

*

باي معنى نبجّل الصليب وماذا تشخّص لنا صورتهُ المباركة التي نخصّها باكرام عظيم

---

١) مما يستحق الذكر في هذا المعنى انهُ كان لا بدَّ من وجود الصليب في قلاية كل من رهبان النساطرة القدماء . قال اسحق النينوي لاحد الرهبان : انهُ اذا باشر اسابيع الاعتكاف والسكوت لا يخرج من قلايتهِ البتَّة ولا لتناول القربان الاقدس في ايام الاحد حتى نهاية الرياضة بل يعوض عن ذلك بالتأملات وقراءة الكتب الروحية اذ يقرأها وهو جالس امام الصليب بخشوع (وجه ٦٢٦) . وتدلّ على وجود الصور في قلايات الرهبان ما جاء في ميمر سبريشوع من بيت قوقا وتلاميذه الذي نشرهُ الاب الفونس منكانا (طالع كتابهُ Sources Syriaques وجه ٢٦٢) اذ يقول عن مارمان عمّهِ : ان الرب كلمه فما بقي من الصورة التي كانت في قلايته . وعاش هذا في الجيل السابع

وعجبة وانعطاف ونسجد لها بلا ملل وقلبنا مفعم لذّة ذلك امرٌ يعرفهُ العالم اجمع ويترنم بتاريخهِ . ولكن كيف تحلّ فيهِ قوّة الله ؟ انما تحلُّ سرّيًا على نسق عادتهِ تعالى اذ يظهر قدرتهُ العجيبة في كل جيل وفي كل زمان فيضع اسمه العزيز على مواد هيولية ويجترح بها عجائب وآياتٍ للعالم ويمنح بها معوناتهِ للبشر . فهذا ما قصدنا ان نبيّنهُ الآن . غايتنا اذن ان نتكلّم بكلام بسيط مبرهنين عن القوّة المجيدة والازلية الكائنة في الصليب ليُعرف بان الله هو الذي يعمل كل شيءٍ في كل شيءٍ بالماضيات والاخيرات الى الابد

ان القوّة الموجودة في الصليب هي عين القوّة التي أبدعت العالمين . القوّة الازلية المديعة الابتداء المدبّرة للخليقة في كل زمان دون انقطاع بنوع الهي يفوق ادراك الكل كمشيئة لاهوتهِ . ما معنى ذلك ؟ ان قوّة الله الغير المحدودة تحلُّ في الصليب كما كانت حالّة بنوع لا يُدرك في قبة العهد التي كان يجلها شعب اليهود ويسجد لها بالخوف والهلع وبها ايضًا كان الله تعالى يصنع آياتٍ وعجائب رهيبة بينهم حتى انهم لم يمسكوا عن ان يدعوها الاها وينظروا اليها برغبة كنظرهم الى الله نفسهِ جلَّ اسمهُ العزيز الذي حلَّ عليها . على انها لم تكن مكرّمة بهذا الاسم لدى اليهود فقط بل من اعداء هؤلاء ايضًا اعني الامم الغريبة كما جاء في الكتاب المقدّس : « الويل لنا فان اله اليهود قد جاء اليوم الى معسكرنا » (١ سفر الملوك ٤ : ٧) . فهذه القوّة التي كانت حالّة في تلك القبة نؤمن انها كائنة في رمز الصليب هذا الذي نكرمهُ بناء على ما نعلمهُ من اسرار الله . وماذا كان يوجد في تلك القبة حتى صارت هكذا مخوفة ومملوءة آيات ومعجزات ؟ لم يوجد فيها سوى اناء المنّ ولوحَي الشريعة اللذين كتبهما موسى وعصا هارون الذي أفرع . ومع ذلك كان موسى والشعب يسجدون امام القبة برعب ورعبة عظيمة . وكذلك يشوع بن نون مكث من الصباح حتى المساء خارًّا على وجههِ امامها . فلمَ كل ذلك أليس لان آيات الله المخوفة ظهرت فيها ثم لانَّ الله كان ساكنًا فيها ؟ عليك اذن ان تعلم ان القوّة الحالّة الآن في الصليب قد انتقلت من هناك وسكنت في الصليب سرّيًا

واعلم ان المعجزات التي تجري في الصليب ليست باقلّ مما كان يحدث في قبة العهد بل اكثر . أليس ان ما كُتب في سفر اعمال الرسل هو اعظم من معجزات قبة العهد ؟ فالذي لا يقبل هذه لا يؤمن بتلك ايضًا . كثيرون بقوّة الصليب طردوا الحيوانات

وانتصروا على النار ومشوا على البحر واقاموا الموتى وابطلوا الطاعون واخرجوا المياه من الاراضي اليابسة القحلة ووضعوا حدوداً للبحار وامروا مجاري المياه والانهار العظيمة فرجعت الى الوراء. ولكن ما بالي اذكر هذا ها ان ابليس مع شراسته يرتعب من اشارة الصليب عندما نرسمها ضده. بل اسمع الآن ما هو اعظم من ذلك كله ان الذين كانوا في خدمة قبة العهد رغماً عن كل المعجزات التي حدثت امامهم لم يقتدروا ان يستأصلوا اصلاً واحداً من جذور الخطيئة مهما كان صغيراً. اما في خدمة الصليب فقد اضحت الخطيئة كخيط العنكبوت اذا عُلق فيه شيء ثقيل فلا يبقى له قوام والموت الذي كان مهولاً على الطبيعة ترى النساء والاطفال انفسهم يزدرون به. نعم ذاك الحكم المحتوم به على الجميع قد هان اليوم ليس فقط على ابناء الايمان بل على الحنفاء ايضاً وضعف هوله عما كان عليه من قديم بنعمة الصليب

فالسجود لمن خيّر الحكم علينا بالمصالحة التي توسّط بها من اجلنا. مبارك الذي من اجل الحبّ الازلي الذي به احبّ الخليقة ارتضى ان يظهر ذاك الحب علناً في هذا الزمان فاتخذ لخلاصنا خشباً اكرم من ذاك الخشب الذي سمّي مسكن الله. وكان موسى والشعب يقدّمون لله في ذاك المسكن سجوداً ودعوة على الدوام. وان قيل انّ الله في التوراة اوصى الشعب بواسطة موسى ان لا يسجدوا لعمل ايدي البشر ولاي صنم وتمثال فكيف سجدوا للقبّة وهي صُنع ايدي النجّار كما انّ لوحي الوصايا نُقرا بيد موسى في الجبل وكُتبا باصبعه. اجبنا انّ الفرق بين هذه والاوثان ان الاوثان وُضع عليها اسم الشياطين ولهذا حُرّمت. اما القبّة وما تحويها فقد وُضع عليها اسم الله المجيد وكانت تظهر فيها قوّة الله واضحاً وكان بنو اسرائيل يستمدّون بواسطتها معونات الله وخلاصهُ وتُصنع بها الخوارق المخوفة. فعلى هذا النمط يجري في الصليب اي انهُ حالما يُمثّل هذا الرمز الشريف على الجدار او على اللوح او يُصاغ من موادّ كالذهب والفضة وغيرهما او يُنجر من الخشب فعالاً يتحوّل ويتلبّس من تلك القوّة الالهيّة التي كانت تحلّ في القبّة هناك ويضحي مقرّاً لسكنى الله اكثر مما كان في تلك

هذا وكما ان خدمة العهد الجديد هي اكرم عند الله مما كان في العهد القديم وكما يوجد بونٌ بين موسى والمسيح وكما ان الخدمة التي قبلها المسيح هي افضل من التي أُعطيت بيد موسى وكما ان كرامة الانسان هي اعظم من العجاوات وخلقتهُ افضل منها هكذا هذا

الرمز يفوق بالفضل من اجل كرامة الانسان الذي اتخذهُ اللاهوت مسكناً لهُ . وكما يوجد فرق بين رضى الله بهذا الانسان الذي اضحى هيكلهُ التامّ وبين رضاهُ الاستعاري بالامور القديمة الحسّ والشعور التي كانت تتضمّن ظلّهُ المتيد المنبئ بالمسيح فهكذا يفوق هذا الرمز كلّ ما سواه (١

على اننا لو اكرمنا هذا الرمز وسجدنا لهُ دون اسم الذي شرّفهُ لاستحقينا الشجب كاولئك القدماء الذين ابدلوا سجود الله بالاصنام . اما الآن فمن حيث اننا نضع عليهِ اسم ذلك الانسان الذي حلّ فيهِ اللاهوت (١ المشار اليهِ في العهد القديم وقد تمنّاهُ البشر وتاقوا الى مجيئهِ مدّة اثنا عشر جيلاً فليس فقط لا نشجب بل كل مرّة نخطر هذه الامور لفكرنا في حين الصلوة او نسجد لهذا الشبه الذي فيهِ صُلب ذاك الانسان تنال قوّة الهيّة فبواسطة هذا الصليب نستحق المعونة والخلاص والخيرات الغير الموصوفة في هذا العالم وفي الآتي

ولنا مثال على قولنا في صفيحة الذهب الابريز التي كانت تطوق قبة الهيكل وكانت قوّة الله تتجلّى فيها صريحاً لا يتجاسر الكاهن حين دخوله هناك ان يرفع عينيهِ ويتفرّس فيها كما يليق بسكنى اللاهوت وكان منظرها مخوفاً مرعشاً زيادة عن كل ما كان في تلك الخدمة . والاباء قد رأوا فيها رمز بشريّة المسيح . فان كان الرمز هكذا مخوفاً فما عسى ان تكون الحقيقة والمرموز اليهِ ؟ الّا ان تلك الخدمة كان يلازمها الخوف اما هنا فاللطف والحب . هناك كان يقاصُّ حالاً من يستهين بتلك الرموز كاولئك الذين احترقوا بنار مباخرهم (سفر العدد ١٦) . اما هنا فمن حيث قد سُكبت النعم بلا عيار ابتُلعت الصرامةُ بالوداعة

ان منظر الصليب يجدي المؤمنين نعماً كبيرة لان جميع الاسرار تفهم بهِ فكلّما وقع الناس اعينهم ونظروا اليهِ كأنهم ينظرون شخص المسيح فتنالهم الخشية منهُ ويعزّ عليهم منظرهُ لانهُ مخوف ومحبوب وبصفة كونهم ابناء يشعرون بثقة عظيمة . فكلّما اقتربنا الى الصليب كأننا نقترب الى جسم المسيح فان ايمانا بالصليب يصوّر لنا المصلوب

---

١) على القارئ ان يعلم بان مؤلفنا هو نسطوري فحّ ولهذا يتكلّم في سر التجسد بتمييز اثنوين في المسيح وهكذا يصنع في الميرون كله وهذا برهان آخر على انهُ لم يكن كاثوليكياً ولا يعقوبياً كما توهّم البعض (راجع مقالة حضرة القس اسحق ارملة السابق ذكرها)

ويتقرّبنا منهُ ونظرنا اليهِ يرتفع عقلنا الى السماء وينتقل بالفكر الى الامور غير المنظورة او المحسوسة. وبكرامة ناسوت ربنا ينفتح نظرنا الخفي بالتأمل في سر الايمان

ولهذا لا نخجل ان ندعوهُ ربًّا ومخلّصاً بل والهاً ونقرّب لهُ صلواتنا كتقريبنا اياها الى الخالق وكما اننا ايضاً لا نخاف ان ندعو ناسوت ربنا الذي هو انسان حقيقي الهاً وخالقاً وربًّا اذ بهِ تكوّن العالمون وخُلق كل شيء وكل ذلك نطلقهُ عليهِ الهيًّا لان ذلك الحاصل على هذه الصفات ارتضى ان يسكن فيهِ واعطاهُ كرامة لاهوتهِ والسلطان على كل شيء فهكذا يُكرّم الصليب لانهُ بهِ كان مزمعاً ان توهب الخيرات للخليقة ولذلك امر الله الملائكة ايضاً ان تسجد للمسيح كما يقول الطوباوي بولس (عبر ١ : ٦) «لمّا ادخل البكر الى العالم قال: لتسجد لهُ ملائكة الله» فاعطاهُ ان يُسجَد لهُ معهُ بسجود واحد اعني للانسان الذي اضحى ربًّا (١ وللاهوت سويةً مع المحافظة على الطبائع كل بخواصها دون ان يصير تمييز في الاكرام. فنؤمن ان كل ما يُعزى الى هذا (اي السيد المسيح) يصعد اليهِ تعالى فيقبلهُ لنفسهِ هو الذي ارتضى ان يشركهُ بهذا الاكرام. فكل هذا انما عرفناهُ بالصليب وقد استندنا معرفةً سديدةً عن الخالق بواسطة هذا الصليب الذي يستحقرهُ غير المؤمنين

ثم ان جميع الناطقين اعني الملائكة والبشر استحقّوا بالمسيح محبة الخالق ومحبّة بعضهم لبعض بشركة ايمان واحد بالله الكل. فان الصليب هو ثوب المسيح كما ان ناسوتهُ هو ثوب اللاهوت (٢ على سبيل الرمز الى ان يأتي الزمان الذي فيهِ يتجلّى الاصل الحقيقي وحينئذٍ لا حاجة الى هذه الاشياء.

ان اللاهوت يسكن بالناسوت بلا افتراق ولا نهاية اعني بلا حدود ولهذا ننظر الى الصليب كنظرنا الى مسكن العلي ومقدس الرب وبحر اسرار تدبير الله. هذا مثال الصليب يوضح لنا ايمان العهدين كما نرّهنا بهِ اعلاه لا بل هو ختام تدبير المخلص لانهُ كما تفرّسنا بالصليب بحواسنا الصحيحة يجتمع ويقوم لمامنا داخلاً تذكار تدابير الرب

---

١) راجع الحاشية السابقة

٢) هذا التشبيه من نشايه الناطرة فاضم اذ جعلوا في المسيح اقنومين اقنوم الاله واقنوم الانسان خلافاً لتعليم الكتاب وعقائد الكنيسة والمجامع شبّهوا الناسوت بثوب لبسهُ اللاهوت ولم يتّحد بهِ اتحاداً جوهريًّا مع بقاء الطبيعتين على خواصهما دون اختلاط ولا امتزاج

كلها ذاك الذي اذ كان قد حلّ فيهِ كل امتلاء اللاهوت جسديًا كان يتردّد كانسان بسيط على باب الخطأة كما قال اشعيا (٥٣ : ٢) : حقير ووضيع بين البشر لم يكن لهُ بهاء ولا منظر . فيا للعجب ان الخالق في الانسان كان يدخل بيت العشارين والزناة وبواسطتهِ كان يحنّهم على الرجوع اليهِ وبتعاليمهِ يحرضهم على المصالحة معهُ وكان يؤيد كلامهُ الصحيح بالآيات والمعجزات الصحيحة . . .

وفي آخر الكل تحقق المؤمنون الرجاء الذي اعطاهم لانه ختم كلامه معهم بسفك دمه وبواسطة موتهِ وقيامته ثم قوّى اثني عشر رجلًا انتخبهم من كل الجنس الآدمي بسبق معرفة الله الى هذه الخدمة وبمجد لا يوصف اصعده اليهِ الى السماء المكان الذي لم تطأهُ رجل خليقة حيث بواسطتهِ دعا جميع الناطقين الملائكة والبشر الى الملكوت السعيد ليتمتّعوا بالنور الالهي الذي لبسه هذا الانسان المأخوذ قداسة وهو الآن بمعيّة الله باكرام وبهاء لا يوصف

هذه هي الاسرار المتضمّنة في رمز الصليب وسبب المعجزات التي صنعها بهِ البارئ في العالم اجمع . هذا الذي نسجد لهُ ونكرمه بفرح . هذا الذي كان منذ الازل في عقل الله ان يعطي الجميع بواسطة رمزهِ معرفة مجدهِ مع الحرية المزمعة ان تكون لجميع الناس . مبارك الله الذي باشياء جسميّة يقرّبنا دائمًا سريًا الى معرفة خفاياهُ غير المنظورة ويزرع ويرسم في عقولنا ذكر اعتنائهِ بنا في كل جيل وبمواد منظورة يربط عقلنا بمحبة خفاياهُ . فليبتهج قلبنا باسرار ايمانهِ نحن المتمسكين بها لنفرح بالله الذي اعتنى بنا كل هذا الاعتناء . ندخل في تأمل عقولنا الى عملهِ هذا العجيب نحونا . نفرح بالرجاء الذي تجلّى لنا نحن ابناء المسيح بسرّ العهد الجديد الذي قبلناه بواسطتهِ . السجود لله الذي لاجل خلاصنا صنع كل شيء في العالم ليقرّبنا اليه حتى يتجلّى لنا العالم العتيد حيث تقبل الخيرات اللائقة بني الله . السجود لقوّة الصليب التي منحتنا كل هذه الاشياء . وبهبا استحقينا معرفة الله كما يعرفهُ الملائكة بواسطة تلك القدرة التي بها خُلقت البرية كلها المنظور منها وغير المنظور . المجد والعظمة والسبح للذات الالهيّة التي ابدعتنا ومنحتنا هذه الاشياء كلها ونرجو ان تهبنا ايضًا الملكوت ولها السجود والكرامة والتبجيل الى ابد الآبدين آمين

الآداب العربيّة
في القرن التاسع عشر

بحثٌ تاريخي انتقادي للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع لما سبق)

أدباء الاسلام في ختام القرن التاسع عشر (تابع)

وقد كان لغير هؤلاء المصريين بعض الشهرة ايضاً في فنون شتى كالشيخ (ابراهيم ابن عبد الغفّار الدسوقيّ) الذي ولد سنة ١٢٢٦ وتوفي سنة ١٣٠١ (١٨١١—١٨٨٣م) ثم بعد ان درس في الازهر تولّى فيهِ تعليم العربيّة ثم نُقل الى المهندسخانة الخديويّة واشتغل في الرياضيّات وسعى بطبع الروضة السنديّة في الحسابات المثلثيّة. وتعيّن مدّة لتصحيح مطبوعات بولاق وانشأ جريدة الوقائع المصريّة. ومن تآليفهِ حاشية على المغني. وعليهِ درس العربيّة الانكليزيّ المستشرق لان (E. W. Lane) الشهير بمصنّفاتهِ الشرقيّة ولاسيما معجمهُ العربيّ الانكليزي الواسع

ومنهم الاديب عبده حمولي (١٨١٥—١٩٠١) نبغ بالموسيقى العربيّة واعاد لها شيئاً من رونقها المطموس بما وضعهُ من الأنغام واحدثهُ من اصول الفنّ

﴿ ادباء العراق ﴾ اصاب قطر العراق بعض الخمول في اواخر القرن التاسع عشر فلم ينل فيهِ الشهرة في الكتابة الّا القليلون. هذا الى انقطاع اخبارهم عنّا وندرة المدارس والمطبوعات في تلك الجهات

وممن اتّصلت بنا منظوماتهُ (الملّا حسن الموصلي البزّاز) اشتهر في اواسط القرن التاسع عشر وتوفي في عشرهِ الاخير. لهُ ديوان شعر طُبع بمصر سنة ١٣٠٥ بهمّة تلميذهِ الحاج محمّد شيث الجومرد الموصلي الذي ذيّل الديوان بنُبذٍ من شعرهِ. وقد أتقن حسن البزّاز في قصائدهِ يمدح اصحاب الطرائق المتصوّفين. ومن شعرهِ ما وصف بهِ اشتداد البرد وسقوط الثلوج في الموصل في اواخر رجب سنة ١٢٧٧ (كانون الثاني ١٨٦١) :

تجلّى طينا عارضٌ غير ماطرٍ ولكنهُ بالثلج عمّ نواحيا

فاصبحت الحضراء بيضاء قد زهت وعادت رباها والبطاح كواسيا
وكم بسطت منهُ يدُ البرد والثنا باطاً على وجه البسيطة باميا
وكم جبل راسٍ يقولُ مُفاخرًا ألم تنظروا قد عمَّم الثلجُ راسيا
فقلتُ بلى اذ كان شاذًّا وقوعهُ لِذكرهُ من بعدُ مَن كان باقيا
فسامٌ بكانونٍ بدا يا مؤرخًا صبا مِصْرَنا بردًا من الثلج زاميا (١٢٧٧)

ومن ظريف قولهِ في حبّهِ تعالى وعمل الصالحات لوجههِ عزَّ وجلَّ :

لئن لم يكن في الصالحات مَثُوبةٌ وليس على العصيان منهُ عقابُ
لطاعتُهُ عندي نعيمٌ وجنَّةٌ وعصيانهُ قبل العذاب عذابُ

وقال يرثي اخويهِ علياً ومصطفى :

يكينَ حمامات الأراك لفرقتي ونُحنَ على فقدانِ ما انا فاقدُ
لقد غابَ عني فرقدٌ بعد فرقدٍ وقد بات عني ماجدٌ ثمَّ ماجدُ
وما لي عزاءٌ عنهم غير انني جسم ملحقٌ يومًا وما انا خالدُ

ومن أدبا العراقيين (ابراهيم فصيح الحيدري) كان مولدهُ في بغداد سنة ١٢٣٥ (١٨٢٠ م) من بيت علم وفضل وسافر الى دار الخلافة وحصلت لهُ رتبة الحرمين مدَّة وتولَّى نيابة القضاء في بغداد ولهُ بعض التآليف وفيها الفٌ والسنين توفي سنة ١٢٩٩ (١٨٨١ م)

ومنهم (الشيخ اسماعيل الموصلي) ولد في الموصل وجاء الى بغداد في أبان شبابهِ ودرَّس في مدرسة الصاغة عدَّة سنين حتى وفاته في ٢٨ ذي الحجَّة سنة ١٣٠٢ (١٨٨٤) وكان حنفيّ المذهب على الطريقة النقشبنديّة. وكان اماماً في العلوم الدينيَّة وبرزَ في النحو وفي الفنون النقليَّة والعقليَّة. وقد اعقب جملةً من الابناء كلُّهم من طلبة العلم اكبرهم محمَّد راغب خلف اباهُ في التدريس. ولاحمد فارس الشدياق قصيدة يمدح فيها الشيخ ابراهيم ويثني على معارفهِ منها :

كل ما لذَّهم فذلك عندي ألمٌ غير ذكر إبراهيما
حبريٌّ مهذَّبٌ قد حوى في صدرهِ قبل أن يشبَّ العلوما
ولهذا يُدعى فصيحاً وقد جا ء فصيحاً بكل فنٍّ عليما
كم لهُ من متنٍ وشرحٍ افادا واجاد المنثور والمنظوما
وقوافٍ من كل بحر اذا ما سُردت خلتهنَّ درًّا نظيما
عن ابيهِ وجدّهِ مستفيضٌ كلَّ فضلٍ فكان ارثًا مقيما

ومنها في شكر الشيخ لمدافعتهِ عنهُ وانتصارهِ لهُ :

رَدَّ في السقيمَ بالنظم والنثـ ـر فكانا لذا الرجيم رُجوما
علم الناس ابرهيمَ خليلًا وصديقًا لي ان دعوت حميما
هذه مدحتي ان كنت قصّر تُ فاني مدحتُ بُرًّا حليما

ومنهم (عبد الله افندي العمري الموصليّ) من ادباء وطنه المعدودين واحد رؤساء علماء العراق. لهُ فصول نثريّة واشعار متفرّقة لم تُجمع حتى اليوم وقد مدحهُ علماء زمانهِ منهم عبد الباقي العمري نسيبهُ حيث قال:

لبت شعري ماذا اقول بمولًى قد اقرّت بفضلهِ الاعداء
فيهِ قرّت عيونا واستنارت وازدهت في وروده الخضراء
يا اديبًا سما سماء المعالي كيف ترقى رُقيَّكَ الادباء
نلتَ حدَّ الاعجاز نظمًا لهذا خرست دون نظمك الفصحاء
انت يا سيدي بغير رياء خُتم النظمُ فيك والانشاء

ورثاهُ حسن البزّاز فقال من قصيدة:

قضى الحبرُ الذي للعلم حبرٌ بهِ فرحاء اهل العلم يأسُ
كفى ما قد جرى ان غاضَ بحرٌ وغابت من سماء المجد شمسُ
اساء الموتُ فيهِ كلَّ نفسٍ وطابت منهُ في الفردوس نفسُ
هو التاج الشهيرُ بكل فضلٍ تباهى فيهِ للعلياء رأسُ
كأن الموت نقّادٌ بصيرٌ احسَّ بما يُحاولُ منهُ حسُّ
تفرّد فاننقى منّا نقيًّا تحيَّرَ بعدهُ عربٌ وفرسُ

وجارى عبد الله افندي العمريّ في معارفهِ وبلاغة كتاباتهِ (شهابُ الدين العلويّ) احد رجال وطنهِ المتقدّمين يعدّهُ العراقيّون كفارس حلبة الآداب في زمانهِ. لهُ ديوان شعر لم يُنشر بالطبع وكان يكاتب علماء عصرهِ ويناوبهم الرسائل الادبيّة والقصائد الرنّانة ومن شعرهِ الذي قالهُ في الوصف قصيدتهُ التي رويناها في المشرق (١٠: ٧٤٠) يصف فيها طغيان دجلة اوّلها:

طغيانُ دجلةَ خطبٌ من الخطوب المخلّهْ

ومن شعرهِ ابيات قالها في مدح مقامات مجمع البحرين للشيخ ناصيف اليازجي:

حديقةٌ أثمرتْ اوراقها حِكَمًا لنا شهاريخها امتدّت وقد يَنَعتْ
فمن يشأ يتفكّهْ في مناقبها ومن يشأ يتفقّهْ بالذي شرعتْ
طالعْ تُقابِلْكَ مرآةُ الزمان بما وانظرْ الى صورة الدنيا وقد نصعتْ
كم أودعت نُبذًا للسمع قد عذُبتْ وودّا ومن قلب ذاك الصدر قد نبعتْ

على الكلاتِ طبعُ للطفِ أرّخها لطفاً مقاماتُ ناصيفَ التي طُبعتْ (١٨٨٥)

ولهُ قصيدة في رثاء السيد الجليل اقليميس يوسف داود رئيس اساقفة دمشق على السريان سنة ١٨٩٠ ارّخها:

من قوم عيسى جانب ضدّما والدهرُ قد نكّس منهُ عَلَما
خطبٌ جسيم وصابٌ عَظُما بموت من ابكى طبيبَ الامما
قد فقدوا منهُ حكيماً حكَما وكان ذا علم بطبِّ الحُكما

وممن مدح الشيخ شهاب الموصلي صاحبُ الجوانب فقال فيهِ من ابيات:

شهاب العصر خلّانُ المعالي فهل من ذاكر للأرجاني
عزيز الشأن تفتخر المعالي بهِ فخر المالي والمعاني
لعمرُك انَّ ما يأتيهِ قولاً ليحكي ما يُنسّق بالبنانِ
فذاك الدرُّ للأسماعِ حلىٌ وهذا الشذرُ نورٌ للعيانِ
وصفتُ حلاهُ عن بُعدٍ كأني اراهُ في علاهُ على التداني
كذاك الشهبُ توصفُ من بعيدٍ وإن خفيت سناء في مكانِ

ولا نعلم اي سنة توفي الشهاب الموصلي. كما أننا لم نقف على تفاصيل اخباره ونُلحق بشعراء العراق ذكر كاتبين آخرين اشتهرا في الهند احدهما السيد ابو الطيب صديق بن حسن القنوجي البخاري ولد سنة ١٢٤٨ (١٨٣٤) في قنوج واتصل بخدمة بعض ملوك الهند خان بهادر وافاد مالاً كثيراً حتى تزوّج بملكة بهوبال في الاقليم الهندي المسمّى دكان وجمع مكتبةً واسعةً واشتغل بالعلم ونشر عدّة مصنّفات زعم البعض انها ليست لهُ وانما كأنف العلماء بتصنيفها فعزاها لنفسهِ كفتح البيان في مقاصد القرآن وكتاب العبرة مما جاء في الغزو والشهادة والهجرة والبائنة في اصول اللغة والعلم الخفّاق في الاشتقاق ولفّ القماط على تصحيح بعض ما استملتهُ العامّة من المعرّب والدخيل والمولّد والاغلاط وكتاب لقطة العجلان وكتاب غصن البان المورق بمحسّنات البيان وكتاب ابجد العلوم. وقد جمع في كتاب دعاهُ قرّة الأعيان ومسرّة الاذهان ما اثنى بهِ عليهِ أدباء الزمان. توفي صديق حسن خان سنة ١٨٨٩ بعد ان تجوّل مدّة في البلاد وصارت لهُ سمعة واسعة

والاديب الثاني هو السيد (حيدر الحلّاوي) ولد سنة ١٢٤٦ (١٨٣١ م) وتوفي سنة ١٣٠٤ (١٨٨٧م) كان شاعراً وجمع شعرهُ في ديوان طبعهُ في بُمباي لم نحصل على نسخة منهُ حتى الآن

وفي هذه الحقبة ازهر في مكّة شيخ طمانها (احمد بن زيني المعروف بدحلان) ولد في حاضرة الحجاز وتولّى الافتاء للشافعيين واشتغل بالعلوم مدّة وفي زمانهِ أُنشئت في مكّة اوّل مطابعها فكان السيّد دحلان متولّيًا نظارتها ونشر فيها تآليف من قلمهِ كالجداول المرضيّة في تاريخ الدول الاسلامية وكتاب الفتوحات الاسلاميّة في جزءين كبيرين . وكان طبع في مصر قبل ذلك كتبًا أُخرى كالسيرة النبويّة والفتح المبين في فضائل الخلفاء الراشدين وخلاصة الكلام في بيان أُمراء البلد الحرام طبعهُ في مصر ثم اضاف اليهِ ملحقًا طبعهُ في مكّة توفي الشيخ دحلان سنة ١٨٨٦ في المدينة بعد ان سار اليها في رفقة الشيخ عون الرفيق لمّا خرج هذا من وجه حاكمها عثمان باشا

ونختم هذا الفصل في ادباء المسلمين بذكر احد مشاهير رجال الدولة التركيّة الذي رفع في امّتهِ لواء الاداب فضلًا عمّا احرزهُ من المجد في تدبير الامور وحسن السياسة عني بهِ الوزير الخطير (احمد جودت باشا). وُلد في لوفجة في ولاية الطونة سنة ١٢٣٨ (١٨٢٢) وانكبَّ منذ حداثتهِ على درس العلوم الدينيّة والدنيويّة وبرع في اللغتين الفارسيّة والعربيّة فضلًا عن لغتهِ التركيّة وليس من غايتنا ان نتقفّى آثار المترجم في المأموريّات التي تولّاها والمناصب التي تقلّب فيها في كل الدواوين منها الاحكام العدليّة ونظارة المعارف الى ان بلغ رتبة الوزارة السامية وانتظم في سلك شورى الدولة . وانّما نكتفي بذكر مؤلفاتهِ فاعظمها شأنًا تاريخهُ لآل عثمان في تسعة مجلّدات عرّب جزءهُ الاوّل جناب عبد القادر افندي الدنا . ولهُ رسائل عربيّة وتعليقات . ونقل قسمًا من مقدّمة ابن خلدون الى التركيّة وصنّف عدّة كتب مدارسيّة للاحداث ظهر بعضها في العربيّة . وكان جودت باشا احد الاتراك القليلين الذين بلغوا من آداب العرب مبلغًا واسعًا امّا معارفهُ في اللغة التركيّة فيُعدُّ فيها امامًا وحجّةً . كانت وفاتهُ سنة ١٣١٢ (١٨٩٤)

ومن أُدباء الاسلام في تونس (الشيخ محمّد بيرم) ولد فيها سنة ١٢٥٦ وتوفي في مصر سنة ١٣٠٧ (١٨٤٠ — ١٨٨٩) تقلّب في بلادهِ في المناصب الخطيرة كنظارة المطابع ونظارة الاوقاف وقد لعب دورًا مهمًّا في مناهضة الحكم الاستبدادي في وطنهِ وعضد الشورى الّا انّ آمالهُ خابت بعد فرنسة سيطرتها على بلاد تونس فانتقل الى مصر وخدم فيها السياسة الانكليزيّة وولي القضاء في محكمتها الابتدائيّة . ولهُ آثار ادبيّة اخطرها كتابهُ صفوة الاخبار بمستودع الامصار ضمّنهُ تاريخ تونس واخبار سياحاتهِ في انحاء

اوربا. ولهُ ردّ على رينان في ما كتبهُ من الاسلام وكتاب في فنّ العروض ومقالات اجتماعيّة حاول فيها بيان طرق اصلاح الاسلام وتقرّبهم من عوامل التمدُّن الحديث

أدباء النصرانيّة في هذه المدة

قد امتاز في ختام القرن التاسع عشر نخبة من كتبة النصارى الذين تلقّنوا الآداب العربيّة في مكاتب ملتهم الخاصّة او في نوادي العلوم التي انشأها المرسلون. ولو اردنا ذكرهم فردًا فردًا لاتّسع بنا المجال وحسبنا تعداد من برزَ بينهم بمعارفهِ

وكان في مقدّمتهم رؤساء الطوائف من بطاركة واساقفة وكهنة افاضل لا يسعنا السكوت عن خدمتهم للآداب ومساعيهم الطيّبة في ترويج اسواقها فضلًا عمّا خلّفوهُ من آثار قلمهم. فكان على الطائفة المارونيّة السيّد السند (البطريرك بولس مسعد) رعاها مدّة ٣٦ سنة بتُقىً واجتهاد وكانت وفاتهُ في اواسط نيسان من السنة ١٨٩٠ ولهُ من العمر ٨٥ سنة. وكان متضلّعًا بالتاريخ الشرقي الديني والعالميّ ومن آثارهِ كتابهُ التحفة الغرّاء في دوام بتوليّة العذراء وكتابهُ الدرّ المنظوم الذي طُبع في طاميش وسمّى هناك بطبع لاهوت القديس الفونس ليغوري معرّبًا الى غير ذلك من الاعمال المفيدة

واشتهر بين اساقفة الموارنة المطران (يوحنا حبيب) مطران الناصرة شرفًا (١٨١٦ —١٨٩٤) ومنشئ جمعيّة المرسلين الكرمليين. تولّى في لبنان القضاء زمنًا على عهد الامير بشير الكبير وبرع في معرفة الفقه والحقوق وكتب في ذلك تآليفًا. ومن مآثرهِ تعريب اللاهوت الادبيّ للاب يوحنا غوري اليسوعي في مجلّدين ولهُ ردّ على الشيعة الماسونيّة وعدّة رسائل في مواضيع مختلفة لا تزال مخطوطة

وممّن عُرفوا بسموّ الهمّة في تعزيز الآداب في الربع الاخير من القرن السابق اساقفة حلب الموارنة: (السيّد يوسف مطر ١٨١٤ — ١٨٨٢) انشأ في الشهباء مكتبًا لملّتهِ واستجلب اليها مطبعةً ادّت للحلبيين خدماً مشكورة سبق لنا تفصيل مطبوعاتها (في الشرق ٣: ٣٥٨). ودرج ادراجهُ خلفهُ (السيّد بولس حكيم الحلبيّ ١٨١٧—١٨٨٨) لهُ مواعظ وخطب شتّى. وكان يقول بديهًا القدود والقصائد والزجليّات والاناشيد التقويّة على اللهجة العاميّة

واناف عليهما شهرةً خلفهما السيّد (جرمانوس الشمالي) من سهيلة كروان

(١٨٢٨ — ١٨٩٥) كان مثالًا حيًّا لكلّ الفضائل الاسقفيّة. امّا شهرتهُ في الآداب العربيّة فتشهد عليها آثارهُ الباقية. منها مجلّدان ضمّنهما مجموع خطبهِ وعظاتهِ ثم ديوانه المسمّى « نظم اللآلئ » وفيهِ كثير من المنظومات الجيّدة وقد سبق المشرق فأثبت ترجمة حياتهِ مطوّلةً (٥ : ٨٥٠ — ٦٨٠) فنحيل اليها القرّاء. وهذا مثال من شعرهِ نضيفهُ الى ما هناك وهو مدحهُ لمصر قالهُ سنة ١٨٨٩ :

أحسن بمصرَ وما شاءت موالیها ... من لي بحادٍ الى مدحٍ يوازيها
عاينتُ اكثرَ ممّا كُنت اسمعهُ ... من عزّةِ النفس والتقوى بأهليها
محروسةٌ صاغها المولى بقدرتهِ ... وعينهُ لم تزل يَقظى نراعيها
فيها مباني عمادِ المجد من قِدَمٍ ... تُعَدُّ اعجوبةَ الدنيا مبانيها
من فائض النيل تُسقَى مثلما شرعت ... من فائض العلم نَسقي مَن ثوى فيها
تبارك الله ما اشهى نسائمها ... نستنشق الروحُ ريّاها نُحييها
فالبحرُ اوسطُها والبرُّ حاط بها ... والسهلُ والوعرُ كلٌّ من فحاويها
سبحان من بجمع الدنيا بواحدة ... فتحتوي كلّ ما تحوي اقاصيها
اهرامُها الشمُّ والآثار شاهدةٌ ... بعزّةِ الملك من اعصار بانيها
تُدمى بقامرة الاعداء عن ثقة ... ومنبعُ العلم من أسّى اساسيها
ودّعتُ قلبي لدى نظمي وودّعتهُ ... وداعَ مصرٍ قافي غير ناسيها (١٨٨٩)

وعُرف ايضًا في هذا الزمان احد رؤساء اساقفة قبرس المطران (يوسف الزغبي) درس في مدرستنا الاكليريكيّة في غزير ثم عاد في كليّة ليل من اعمال فرنسة اللغتين العربيّة والسريانيّة وسعى في أيام اسقفيّتهِ بانشاء مدرسة قرنة شهوان سنة ١٨٨٥ فنالت بهمّتهِ نجاحًا. ولهُ كتاب في الفلسفة لم يسعدهُ الوقت على اتمامهِ. توفي في اواسط كانون الاوّل من السنة ١٨٩٠

امّا الكهنة المؤرّخة فنال السبق بينهم في الآداب الخوري (ارسانيوس الفاخوري) وُلد في بعبدا سنة ١٨٠٠ وتوفي في غزير سنة ١٨٨٣ خدم الكنيسة والوطن بكلّ تفانٍ فاتّخذهُ القضّاد الرسوليّون كمعاون لهم في اشغالهم ولزم مدّة اعمال القضاء في لبنان ودرّس العلوم العربيّة والقوانين الفقهيّة لكثير من الطالبين كما ذُكر في ترجمتهِ المطوّلة التي نشرناها في المشرق (٣ : ٦٠٦ — ٦١٦) وعدّدنا هناك ما أبقى من الآثار الجليلة كشرح ديوان المتنبي وشرح ديوان المطران فرحات ومطوّل في الصرف والنحو. وقد طُبع من تآليفهِ كتابهُ روض الجنان في المعاني والبيان وكتابهُ زهر الربيع في فنّ البديع والميزان الذهبي في

الشعر العربيّ . ولهُ ديوان كبير اقتطفنا منهُ بعض قصائدهِ في المشرق منها بديعيَّتهُ (المشرق ١ : ٢٦) وقصيدتهُ في قبر المسيح (٣ : ٣٦٣) وغير ذلك . ومن شعرهِ في الطهارة من ابيات :

يا صاحِ عِش متسربلًا بطهارةٍ تُصبِ المعالي في عُلى سربالها
لا إرثَ في ملك الإله لفاجرٍ هيهات ان يأوي السما مع آلها
فاقنَ من دون الطهارة لن يُرى انَّ النعيم مملَّق بكمالها

وقال مخمساً ليتين نظمهما احد الشعراء :

أتُوق لودّ من يحسوى ودادي وفي شكلٍ كلانا باتحادِ
كأني في وفاقٍ بالفؤادِ رأيتُ بنفسجاً في ظلّ وادي
وغصنُ البانِ متكئاً عليهِ
فكلٌّ يجذبُ الثاني لجبٍ كمغناطيسَ قد كنّا بجذبِ
وقلبهُ شاخصٌ عنّا لقلبي فقلتُ تأمّلوا بصنيعِ ربّي
شبيهُ الشكل منجذبٌ اليهِ

ولهُ ارجوزة طويلة قالها سنة ١٨٦٩ ليبيّن فيها حرّية الانسان وخلوّ ارادتهِ من الاضطرار السابق هاك اوّلها :

الحمدُ فه القدير السرمدي حمدًا بتيّا من شرور المتدي
خلقنا الله على صورتهِ وشبههِ جلَّ عُلى قدرتهِ
لكي نحبّهُ هنا ونعبدا ونرثَ الملك الذي قد خُلّدا
فبنا اختيارًا كاملًا قد أوجدا لكلّ قولٍ ثم فعلٍ يُبتدا
حرّيةٌ مطلقةٌ وفيهِ في فعل ما تريدهُ المشيهِ
قد ضلَّ مَن قال بهِ الملاقا ولا يرى رأيًا بذا مُعافى
أدلتك البرانُ والادا فما تختارُ منها لهُ أمدُدْ بمصبا
بذا ابنُ سيراخَ الحكيمُ علّما كذا لنا الدينُ القويمُ سلّما
لولا اختيارٌ لِفعالٍ فاعلٍ لم يُجزَ عنها من وليٍّ عادلٍ

وفي هذا العُشر التاسع اي نحو سنة ١٨٨٠ توفي احد شعراء لبنان الراهب الفاضل القس اغناطيوس الحازن من الاسرة الحازنيّة والرهبانيّة اللبنانيّة تولّى زمناً طويلًا رئاسة دير البلمند وكان معروفاً بفضلهِ وجودة قريحتهِ عارفاً بالفقه . وقد وقفنا لهُ على ديوان مخطوط يدلُّ على توقّد فهمهِ وذكاء عقلهِ ضمّنهُ كثيرًا من

تواريخ لبنان بين السنتين ١٨٥٠ الى ١٨٧٧ لكنّ نسخة هذا الديوان سقيمة قد تشوّهت اكثر قصائدها باغلاط النسّاخ. ومما يُروى لهُ قولهُ في دير سيّدة ميفوق يشكر انتقال الرئاسة:

ويلٌ لمن طلب الرئاسة فاعتلى فالرفعُ بالخفض استبانَ ما ولى
كم بات مضطرباً لصرف ملمّةٍ كم ضاق من تعب الفؤاد فولولا
تبّاً لها من هبّةٍ بل محنةٍ يُلهى بها النسّاكُ من ربّ الملا
كم حاسدٍ جلبَت وردّت حاسداً والمال فيها لا يزال مُبلبلا
مسلوبةٌ مرّاً ولا تحلو بها تحوي من الحلوى وهل صبرٌ حلا
ان قيلَ كلٌّ للرئاسة مائلٌ قلتُ الفراشةُ تشتهي ضوءاً صلى

وقال مؤرخاً وفاة الامير حيدر اللمعي قائمقام النصارى المتوفى سنة ١٨٥٩:

بكت البونُ امير عُربٍ حيدرا من بعدهِ هجر القلوبُ سلاما
اذ غابَ عنها صاح كل مؤرخٍ آها بيتِ اللمع صار ظلاما

وقال متنكّهاً في أقرع اتاهُ من بعض اصحابهِ بقرعة مملوّة من الخمر الجيّدة فعثرت رجلهُ وافاض الخمر:

قد صبّ اقرعُ في طريقي قرعةً وأتى بعذرٍ بشتكي من تعسهِ
عزّيتهُ بالقول طبّ نفساً وسِر فلكلّ شيء آفةٌ من جنسهِ (لعابنية)

السرّ المصون في شيعة الفرمسون

مقالة تاريخيّة ادبيّة عمرانيّة للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

٢ اسم الماسونيّة

قد اطّلعنا على كذب الماسون في تدوين تاريخهم. ولا نخالهم اصدق في ما سيأتي ذكرهُ. قال الاخ ثلثار (١ : ٥ اكذبوا اكذبوا فلا بُدَّ ان يبقى شيءٌ من كذبكم

---

١) النقط الثلاث شعار الماسون يقدّمونهُ على اسمائهم في كتاباتهم ليتعارفوا بينهم وهذه النقط تمثّل مثلّثاً يريدون بهِ المساواة بين كل البشر بين الصغير والكبير والسيّد والمسود والامير والمأمور. اما كون ثلثار أحصى بين الماسون فهو امر ثابت لا ينكر (اطلب تاريخ الماسونية لجرجي زيدان ص ١٤٩)

وقد سمعنا (في المشرق ص ٧١٧) الاخ ٣٣ امين ريحاني يقول : « انّ الامتناع عن السبّ والكذب في اللبنانيين من علامات البلادة والخمول ». وعليه فلنوطّن نفسنا على استماع الكذب من افواه الماسون في كل باب من ابواب بحثنا عنهم . وكلامنا في هذا الفصل عن اسمهم الكريم نستفتيهم فيه كما استفتيناهم في صفة تاريخهم

فَرْمسون اسم مركّب من لفظتين افرنسيّتين « فران » (franc) ومعناها الصادق « وماسون » اي البانّي يريدون أنهم بنّاؤون صادقون . قال السيّد دي سيفور : ناهيك بهذا الاسم شاهدًا على كذب الملقّبين به اذ ليسوا ببنّائين ولا بصادقين . امّا كونهم ليسوا ببُناة فالامر واضح اذ لا يشتغلون بتشييد الابنية لا بل يمقتون من جميّتهم الذين يرتزقون بالحِرَف الدنيّة والبنّاؤون منهم كما لا يخفى ما لم يَقُل الماسون انّ الخراب والبناء يتلازمان وهم يشتغلون بخراب بناء العمران والهيئة الاجتماعيّة . امّا صدقهم فيتّضح من تضاربهم في اقوالهم وتباينهم في مزاعمهم فينكر هذا علانيةً ما يعلمهُ ذاك سرًا ويجاهر الواحد في بلدٍ بما يكتمهُ اخوهُ في بلد آخر كما سترى

ومن غريب الامور انّ الفرْمسون مع رضاهم بهذا الاسم الكاذب لا يحبّون ان يُجاهروا به . أفرأيت يا صاح احدًا منهم يضيف الى كتاباته لقب الماسوني فيكتب مثلًا « فلان الفلاني الفرمسون ». لا لعمري بل ان سألت ماسونيًا أهو احد المنتمين الى تلك الشيعة أنكر ذلك كل الانكار فكأنك نسبتهُ الى كبائر المحظورات . وقد اقرّ بذلك صديقنا جرجي افندي زيدان في تاريخ الماسونيّة (ص ١٩٨) حيث قال :

« تأمّل بما أتيم في طريق الماسونية من مثل هذه العقبات التي تحور لها الهمّم وتُكرَه من أجلها الاعمال . امّا العامّة فلا تسأل عمّا تُحرس في اذهانهم من الكره والاحتقار لجماعة الماسون حتى اصبح اسمهم مرادفًا لأدنى صفات الاحتقار عندهم فكانوا اذا ارادوا المبالغة في وصف احد الكفرة او المنافقين لا يجدون اشنع من قولهم « فارماسون » للافادة عمّا في ضميرهم فهي عندهم مرادفة لقولنا كافر منافق ممتلئ »

وليس هذا كما زعم الكاتب « في الزمن السابق » فانّا نعرف كثيرًا من الماسون الذين في أيامنا « اذا سئلوا تجاهلوا واذا اتُّهموا تبرّأوا » فيهيهات « ان يفتخروا (كما ارتأى) بهذا اللقب افتخارهم باشرف الألقاب » ولا نطلب دليلًا آخر على صدق قولنا الّا اخفاء المحافل لتقاويم اعضائها فلا يسمحون البتّة بنشر اسمائهم . فلولا انّ في الزوايا خبايا لافتخروا باسم الماسون كما يفتخر الناس باسم شيخ واميرٍ وكُنت وركيز وكما

نفتخر نحن باسم اليسوعيين او « جزويت » رغماً عن كل مسامي الماسون والكفرة بتشنيع هذا الاسم الشريف في كتبهم ومعاجمهم

وللماسونيّة اسماء أخرى اختلفت على اختلاف الامكنة والازمنة والفروع المتفرّعة منها كالمنوّرين في المانية والفحّامين في ايطالية وليست هذه الاسماء اصدق من اسم الماسون

امّا الاسم الذي يليق بكلّ هذه العُصَب والفئات التي تتألّف منها الماسونيّة فهو ما لا تستطيع الى انكاره سبيلاً ولا بُدّ من اقرارها به ويشملها كلّها على حدّ سواء فهو اسم الشيع السريّة. فهي في كل وقت منذ نشأتها وفي كل بلد حلّت به لم تظهر الّا تحت حجاب السرّ متلثّمة متقنّعة لاترضى بانكشاف سترها واماطة قناعها فتخفي غاية جهدها نوادي اجتماعها وما يدور بين اعضائها من الابحاث وتحظر على ذويها بالأقسام المحرّجة وتحت العقابات الهائلة ان يكشفوا شيئاً من أسرارها وكفى بذلك دليلاً على بضاعتها التي لا تروج الّا في الظلمة فيصدق فيها قول الرب لذكره المجد (يوحنّا ٣ : ٢٠): « ان كل من يعمل السيئات يُبغض النور ولا يُقبل الى النور لئلّا تُفتضح اعماله فامّا الذي يعمل الحق فانّهُ يُقبل الى النور لكي تظهر اعماله لانها مصنوعة في الله »

٣ غاية الماسون

لكلّ جمعيّة غاية يقصدها اعضاؤها بوفاقهم وضمّ قواهم. فالشركة التجاريّة تنوي رواج المعاملات التجاريّة في بيع المحصولات وشرائها. والجماعة العلميّة تطلب بالتكاتف رفع منار المعارف والفنون. والجمعيّة الرهبانيّة تتوخّى ممارسة الفضيلة والسعي وراء الخير العام وتوطيد اركان الدين وهلم جرًّا. فيا ليت شعري ما هي غاية الماسونيّة؟ ماذا تريد وما هي الوسائط التي تتّخذها لبلوغ غايتها. فلنسمع اوّلاً اصحابها لعلّهم يفيدوننا من امرها شيئاً نهتدي به الى مقاصدها. قال الاخ ه. ايليّا الحاج في الخلاصة الماسونيّة (ص ١٢ و ١٣):

« غايتها (اي المسونيّة) الاعمال الخيريّة لبني الانسان تحمي البتيم وتعضد الارملة وتقود العالم الى الحريّة والمساواة والاخاء. . . الغرض منها سُنّة الفضيلة. . . يجب عليك كبنّاء حرّ ان تقوم بالواجبات الماسونيّة التي تشتمل على محبّة الله ومحبّة القريب ومحبّة نفسك !!! . . . انّ اخضاع الشهوات هو النهاية القصوى. . . »

وقال الاخ المكرّم ه. شاهين بك مكاريوس في كتاب الآداب المسونيّة (ص ٥)

« وايُّ مقصدٍ اشرف من مقصد هذه الجمعيَّة وايُّ غاية احمد من غايتها ألا وهي توطيد الحبّ بين اعضائها ورفع الشقاق والبغض وحثّهم على فعل الخير والاحسان مع اخوتهم المحتاجين ومساعدتهم في بلاياهم. وكأنّ اعضاءها قد رضعوا امام ميلات الجنس البشري ومصائبهُ ووطّدوا انفسهم على اتّقائها ودفعها فينفقون في سبيل البرّ على اخوتهم المحتاجين البالغ الطائلة ويؤدُّونهم بالمساعدات الادبيَّة والمادية وهم يحسبون ذلك على انفسهم فرضاً واجباً لا يطلبون عليهِ اجراً »

وكأنَّ « الاخ المكرَّم » مؤسس محفل اللطائف احسّ بما في هـذا المقصود من الخلل اذ جعل كل غاية الماسونيَّة في معاضدة اعضائها بعضهم لبعض دون المبالاة بغيرهم من البشر فقال في كتابهِ الاسرار الخفيَّة في الجمعيَّة الماسونيَّة (ص ٤):

« الماسونيَّة جمعيَّة ادبيَّة اخذت على عاتقها خدمة الانسانية وعضد الدين بادبيَّاتها واصلاح القلوب وتنوير الاذهان وابوابها مفتوحة لكل من شاء الانتظام في سلكها من الادباء والمهذَّبين . . . . وعدد اعضائها ملايين يجتمعون تحت لواء المحبَّة والمساواة والاخاء لقضاء غاية سامية اجمعوا عليها وهي خدمة البشرية واعلاء منارها . . . واخامُ الماسونيَّة باسّها عدوَّة الدين كذب محض لأنَّ دستورها الاساسي الايمان بالله وخلود النفس والكتب المقدَّسة اركان حياكلها وزينة مجتمعاتها وبركة اعضائهـا »

اما الاخ « جرجي زيدان فانَّهُ في كتابهِ تاريخ الماسونية العام لا يصرّح بغاية الجماعات الماسونيَّة وانما يكرّر مراراً بعد انتظامهِ في سرد تاريخها ان الماسونيَّة يحتاج اليها البشر لنشر العلم « لان العلم لا ينمو وينتشر الّا بواسطة الجمعيّات السرّيَّة » (ص ٢٤) ثم اردف ذلك بمقابلة كفريَّة فعارض بين انتشار الدين المسيحي وانتشار الماسونيَّة وزعم ان الديانة المسيحيَّة كانت في اوائل النصرانيَّة كالجمعيَّات السرّيَّة ولم يَفُتهُ الّا ان يذكر لنا شهداء الماسونيَّة كالالوف وربوات الالوف من شهداء الدين المسيحي الذين جاهروا بالايمان رغماً عن افظع العذابات واعلنوا بايمانهم على رؤوس الاشهاد

وورد في كتاب نظامات الماسونيَّة العموميَّة التي ترجمهـا من الفرنسويَّة « حضرة كلي الحكمة الياس بك منسّى رئيس محترم مجمع شابتر الكرنك الاكبر ومحفل العدل الموقّر بشرق مصر . . . عام ١٨٩٠ » (ص ١٠):

« غاية الماسونيَّة هي في مقاومة الجهل تحت جميع اشكالهِ وهي مدرسة متحابَّة . . . تمنع في محافلها كل مباحثة سياسيَّة او دينيَّة . . . انَّ الماسونيَّة لا تمنع احدًا من ممارسة فروض ديانتهِ . . . وانما تقصد تعليم العالم وكل تعليمها منحصر في هذا المبدإ وهو محبَّة بني النوعيَّة . . . وانَّا تنادي ايضاً الذين يحشون الاختلافات السياسيَّة بقولها اني امنع من اجتماعاتي كل اختلاف وكل مناظرة سياسية »

فيُحصَّل من النصوص السابقة: اوّلًا انّ الماسونيّة جمعيّة خيريّة غايتها خدمة بني الانسان عموماً وذويها خصوصاً. ثانياً انّها تسعى في قمع الجهل ونشر العلوم. ثالثاً انّها لا تقصد معاداة الدين. رابعاً لا تنوي غايةً سياسيّة

وها نحن نبيّن انّ الماسون يكذبون كذباً صريحاً في هذه الامور الاربعة ونسند غالباً ادلتنا الى اقرار الاخوة ٣٣ الذين لا تُرَدّ شهاداتهم

١ كذبت الماسونية بقولها انّها جمعية خيريّة

انّ كنيسة المسيح ورثت من منشئها حبّ الفقراء ومساعدة المحتاجين وعلاج كل داء وآفة تدهم بني البشر. فان قلنا انّها جمعيّة خيريّة وامّ الجمعيّات الخيريّة لا احد ينكر علينا قولنا. ولن قام مكابر ينكر ما هو اوضح من الشمس القمناهُ الحجر فعددنا لهُ مئات من المستشفيات والمستوصفات والمآوى والمياتم والملاجئ للفقراء واللقطاء والعَجَزة والصبيان والمتوهين وليس ذلك في البلاد القاصية بل في ذات بلادنا هذه وتحت نظر كلّ من لا تعمي الأغراض بصرهُ فالوف من الرهبان والراهبات ورجال البرّ يدهشون باعمالهم الشريفة كل من يبصرهم في مصر وفلسطين وبرّ الشام والعراق والجزيرة وجميع ولايات الدولة العثمانيّة. وكذلك لبقيّة الطوائف من مسلمين وبرتستانت وارثدكس بعض مشروعات خيريّة يعرفها الكلّ ويشكرون فضل مباشريها

امّا الماسونيّة فطالما بحثنا عن مساعيها الخيريّة ومبرّاتها للخير العام كتمريض ذوي العاهات واسعاف المنكوبين وزيارة المسجونين وانشاء المآوى للايتام وتلطيف آلام البشريّة وكذلك في سياحاتنا في جهات الشرق وفي انحاء اوربّة تحقّقنا في السؤال عن ذلك فكنّا نجيب بابًا لا نسمع جواباً. هذا ونحن نعلم حق العلم انّ الماسون لم ينذروا الفقر كالرهبان الذين مع قلّة ذات يدهم قد شيّدوا معاهد لا تُحصى لذوي البأساء في كل اصقاع العالم. فما كان احرى بالماسونيّة ان لا تدع الرهبان يغلبونها باعمال الرحمة لاسيما انّ الاخ ٣٣ شاهين بك مكاريوس مؤسس محفل اللطائف ورئيسهُ قد افتخر بالماسونيّة ودعاها «اكبر الجمعيّات واغناها» فاين رعاك الله مآثر ذلك الغنى وفوائد تلك الثروة الواسعة؟ افلا يستطيع لعازر المسكين ان ينال قليلًا من فتات موائد الماسونيّة؟ ونحن الذين نرى الماسونية في الشرق تحصي لها نيفاً وخمسين محفلًا لم

نسمع حتى اليوم بأدنى عملٍ خيري تعضدهُ او بمستشفى تسندهُ بقناطيرها المقنطرة ولم نجد ذكرًا للماسونية في جميع الاكتتابات التي تولّاها ذوو المروّة بعد زلازل قلبريّة وخراب مسينة ومذابح آطنة في حين كنّا نرى الفقراء انفسهم يتسارعون الى دفع دريهماتهم للمنكوبين

ولمّا الماسون يقاطعوننا بقولهم انهم ليسوا كالرائين اذا اتوا صدقةً يهتفون بالبوق امامهم ليعرف الناس حسناتهم . هذه نعم الغاية لو كان قول الماسون صادقًا فانّنا نحن ايضًا نكره الذين يطبّلون ويزمّرون ليُطلعوا العالم على برّهم لكن هذا التواضع لا يمنع « اولاد الارملة » ان يضبطوا كبقيّة الجمعيات الخيريّة حساباتهم فيقف عليها الناس ويمجّدوا الله في اعمال تلك العصبة الشريفة . أفلم يُوصنا الرب بقولهِ (متى ٥ : ١٦) : « فليضئ نوركم قدّام الناس ليروا اعمالكم الصالحة ويمجّدوا ابآكم الذي في السموات »؟ . فانّنا نعرف كثيرًا من الجمعيات الخيريّة كجمعية مار منصور التي تنفق في سبيل الخير الملايين من الدراهم فتنشر اعمالها ولم نسمع لمرّة ينسب اعضاءها الى الكبرياء والافتخار الباطل

وكنّا سالنا في بعض السنين الماضية عن لسان البشير رؤساء المحافل الماسونية ان يذكروا لنا شيئًا من الاعمال الخيريّة التي يدّعونها فما كان منهم الّا انهم تنمّروا غيظًا وصاحوا بالويلات ونعتوا كتبة البشير بقبح الالقاب وافتعل الشتائم كأنّهم بذلك ينفرون شكوى الذين يتكرون لهم عملًا خيريًا . ثم قامت في اثرهم جريدة اللطائف وبعد التفتيش والتنقيب ذكرت مأوى في انكلترة ودارًا للمسقومين في فرنسة لكنّها خافت ان تصرّح بمكانها خوفًا من الخذلان . وعجب ان اللطائف صادقة في قولها فما هذا بالنسبة الى جمعيّة تدّعي انّها اغنى الجمعيّات وانّ اعضاءها يبلغون خمسة عشر مليونًا ؟ (لهُ بقيّة)

مطبوعات شرقيّة جديدة

E. J. W. GIBB MEMORIAL, IX: Textes Persans relatifs à la secte des Houroufis publiés, traduits et annotés par M. CLÉMENT HUART suivis d'une étude sur la religion des Houroufis par le Dr RIZA TEVFIQ, *London, Luzac*. 1909. pp. 313+120

الشيعة الحروفية

الشيعة الحروفيّة من الشيَع التي ظهرت في العجم في اواخر القرن الثامن

للهجرة والرابع عشر للمسيح. انشأها احد المتصوّفين في تلك البلاد اسمهُ فضل الله الاستراباذيّ. فهذا بنى دينهُ على حروف الابجديّة وتركيبها فقيل لهُ ولمشايعيهِ بالحروفيين. ومن مزاعمهِ مذهب الحلول ويدّعي انّ اللاهوت ظهر في شخصهِ وكان اخذ لشياء من تعاليم الباطنيّة والاسماعيليّة ثم مات قتلًا بامر ميرانشاه احد ابناء تيمورلنك سنة ٧٩٦ (١٣٩٣ م). ولاحد زعماء هذه الشيعة عدّة تآليف ومقالات في الفارسيّة لم تُطبَع حتى الآن وقد حصل على نُسخ منها المستشرق هوارت (Huart) فنشرها في مجموعة جيب (Gibb) ونقلها الى الفرنسويّة وعلّق عليها التعليقات اللغويّة وغيرها. وقد ألحق العلّامة رضا بك توفيق بالكتاب درساً في دين الحروفيّة ومزاعمهم التي هي من الغرابة في مكان ولعلّ قارئ هذه التآليف لا يرى في تعريفها غير تكرار المثل القائل بانّ الجنون فنون

ل. ش

I Cornelis Cornelisz Roobacker's Scheepsjournal Gamron-Basra (1645); de eerste Reis der Nederlanders door de Perzische Golf. Uitgegeven met Inleiding en Noten door A. P. H. Hotz, *Leyden, E. J. Brill*, 1907, pp. 117.

II Journal der Reis van den gezant der O. I. Compagnie Joan Cunaeus naar Perzië in 1651-1652 gehouden door Cornelis Speelman. Uitgegeven door A. P. H. Hotz met Route-Kaart. *Amsterdam, J. Müller*. 1908, pp. CXV-466.

رحلتان الى العجم

كانت هولندة في القرنين السابع عشر والثامن عشر تجاري اكبر الدول في مستعمراتها وتجارتها البحريّة. وقد خلّف لنا كثيرون من علمائها اوصاف رحلاتهم الى اقاصي البلاد حتى الصين واليابان والهند وجزائر اوقيانية وقد نشر الاثريون بعضها ولم يزل بعضها الآخر مخطوطاً مترويًا في دفائن الخزانات الكتبيّة. ومما استُخرج من تلك المطامير آخرًا رحلتان الى بحر العجم وبلاد فارس باشرهما سنة ١٦٤٥ ثم سنة ١٦٥١ الهولنديّان رُوباكر وجان كوناوس وفي رواية رحلتهما من الاخبار والاوصاف ما يلذّ كل القرّاء ويزيدنا علماً في احوال فارس في ذلك العصر من تجارة وعلوم وصنائع. ورحلتان الرحلتان قد تولّى نشرهما احد علماء هولندة العلّامة ا. هوتس الذي حلّ ثغرنا منذ شهرين بصفة قنصل دولة هولندة الفخيمة وجنابهُ من اعرف الناس بامور العجم وتاريخ بلادهم ولديهِ مكتبة واسعة تتضمّن التآليف الفريدة العزيزة الوجود التي جمعها في

ايام ماموريته في فارس ومنها استخرج هذين الاثرين فنشرهما باللغة الهولندية وصدرهما بالمقدمات المفيدة وذيلهما بالملحوظات الشيقة واضاف اليهما الخوارط لتعريف الثغور التي اجتاز بها صاحبا الرحلتين فجاء الكتابان شاملين لضروب المحاسن التي يستحبها القراء لمثل هذه الآثار. فنشكر جناب القنصل على هذه الهبة النفيسة ونحض محبي الاسفار على مطالعة الكتابين ل.ش

I. KRATCHKOVSKI: Mutanabbi i Abu-l-'Ala. *St - Pétersbourg*, 1909. pp. 52.

المتنبي وابو العلاء المعري

ان بين هذين الشاعرين وجوهاً من التشابه تقرب بينهما فضلاً عن تقارب عهدهما فان كليهما نبغ في بلاد الشام وكلاهما برز في الشعر ونحا فيه منحى الفلاسفة وكلاهما أصبح اماماً في مذهبه الشعري فتناقل قصائده قوم من المغرمين باقواله. وانما المتنبي كان متصلاً بخدمة الملوك والامراء فيتفنن بشعره ليحصل به رضاهم واما المعري فازهده بالدنيا كفوف بصره فوجه بنظر قلبه الى المعقولات واعتبر الموجودات اعتبار المزدري بها النافر عنها وشعره يتدفق تدفق الماء من ينبوعه يقوله عفواً دون تصنع ولا تكلف. وقد كثرت الابحاث في هذين الشاعرين ووصف خواصهما والثناء على منظوماتهما. ونما نشر حديثاً فيهما مقالة لنزيل بيروت حالاً حضرة المستشرق الروسي ا. كراتشقوفسكي فانه وضع في المتنبي والمعري كراساً ضمنه خلاصة ما كتب في هذين الشاعرين وقد افتتح تصنيفه بمقدمة في الشعر العربي وما نشر منه حديثاً واردف ذلك بذكر ابي الطيب وابي العلاء ولخص مضامين دواوينهما وروى نبذاً من شعرهما مع شرحه. ومما استفاد منه لمقالته من المخطوطات كتاب تنبيه الاديب لأبي كثير وكتاب معجز احمد وهو تفسير ابي العلاء لديوان المتنبي. ويا ليت جنابه اطلع على ترجمة المعري المطولة التي وردت في كتاب معجم الشعراء لياقوت فانه كان بلا شك اخذ عنها بعض الفوائد المهمة. فنهدي لصديقنا الشكر على ما صنف ونؤمل ان يتحفنا قريباً بآثار جديدة من قلمه ل.ش

EBERHARD SCHRADER. Eine Lebensskizze nebst einem Verzeichnis seiner meisten Schriften von Carl Bezold, *Strassburg. K. J. Trübner*, 1909. pp. 31.

ترجمة المستشرق ابرهرد شرادر

ابرهرد شرادر (١٨٣٦ — ١٩٠٨) احد كبار علماء المانية خدم الآداب الشرقية

زمناً طويلاً حتى بلغ فيها مبلغاً عظيماً وكان المذكور ضليعاً باللغات الشرقية ولاسيما العبرانية لكنهُ اصاب شهرة مستفيضة بتآليفهِ الاشوريَّة التي يُشار اليها بالبنان. فلمَّا فقدتهُ الآداب لم يشأ وطنيُّهُ المهام كل بتسُلد ان يبيد ذكرهُ فجمع في كتابٍ ترجمة حياتهِ ألحقها بمصنَّفاتهِ التي يبلغ عددها بين صغيرة وكبيرة مئتي تاليف. فتثني على همة الكاتب وتهني الديار الالمانية بما تُنشئ من رجال الفضل ل. ش

Actes du QUINZIÈME CONGRÈS international des Orientalistes. Session de Copenhague, 1909 *Copenhague*, 1909. pp. 87.

اعمال مؤتمر المستشرقين الخامس عشر في كوبنهاغ

سبق لنا في المشرق (٨: ٧١٦) وصف هذا المؤتمر الذي حضرناهُ باسم مكتبنا الشرقي. وقد جُمعت مؤخرًا تفاصيل جلساتهِ وما دار فيها من الابحاث اجمالاً. على اننا ننتظر من همة عمدة ذلك المؤتمر ان يتحفونا بما هو اعظم من هذه الفذلكة قائدةً فيقتدوا بالمؤتمرات السابقة وينشروا المقالات العلمية التي تُليت في ذلك النادي العلميّ فتبقى آثارهُ في ايدي المستشرقين ل. ش

رنَّات المثالث والمثاني في روايات الاغاني

لجامعها ومصححها ومعلق حواشيها الاب انطون صالحاني اليسوعي
الجزء الاول في الروايات الادبيَّة طبعة ثانية بيروت ١٩٠٩ (ص ١-٤٠)

ابو الفرج الاصبهاني من اعيان الادباء وافراد المصنفين اجمع العارفون على انهُ لم يُرَ اديب مثلهُ حفظ ما حفظهُ من الشعر والاغاني والاحاديث المسندة فتراك لنا في كتابهِ الموسوم بكتاب الاغاني في ٢١ جزءًا معدنًا لا ينفد ونبعًا لا ينضب اليهِ يلجأ كل كاتب اذا ما اراد الوقوف على كثير من الآثار والاخبار في الجاهليَّة والاسلام. وهو من ابوع الكتبة وادقّهم معرفة بمواقع اللفظ يُخرج المعاني في قالب لطيف بغير حشر ولا تعقيد جامعاً بين الذوق السليم وحسن البيان لا تشوبهُ ركاكة ولا يشوّههُ تكلف. وعندنا انهُ اجلّ ما يختارهُ الكتبة والدارسون اذا ما ارادوا مثالاً يقتدون بهِ فيكون انشاؤهم « عصريًا سهل المأخذ صحيح العبارة والتركيب. وقد انتخب حضرة الاب انطون صالحاني غرر الكتاب ودررهُ في مجلَّدين سمَّاهما رنَّات المثالث والمثاني في روايات الاغاني وقدما موقعًا حسنًا في اعين الادباء واصحاب المعاهد العلميَّة وجعلهما الكثيرون كتبًا

مدرسية اقبل التلامذة على مطالعتها لما فيها من الروايات المشوقة فنالوا حظاً ونجاحاً في الانشاء. ولما كان ما نُشر بالطبع من الجزء الاوّل قد نفد مؤخّرًا اعاد في هذه الايام حضرة الاب طبعهُ بعد المراجعة وضبط ما يصعب على القارئ ضبطهُ وتفسير ما فيه من الغريب مع تراجم لكثير من الاعلام فجاء الكتاب بهذه الطبعة اقرب منالًا من الطبعة الاولى واكثر فائدة فنشكر لحضرة الاب همتهُ ونحرض الاساتذة على شرح معانيهِ والتلامذة على تداولهِ ١٠ر

منائر الطقسيات

وضعهُ وعلّق حواشيَهُ بعض آباء الرسالة اللبنانيّة المارونيّة

طبع بالمطبعة الكاثوليكية للاباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٩٠٩ (ص ٣٧٢)

قد احبَّ حضرة الخوري الفاضل الاب نعمة الله مبارك ان يفيد قرّاء المشرق (ص ٤٢٠) عن فحوى هذا الكتاب ومحتوياتهِ في مقالةٍ خصّها وضعها عن الطقوس البيعيّة قبل ظهورهِ. ومن ثم قد اضحى وصفهُ تافلًا. وغاية ما نتمنّى ان يُقبل الاكليريكيّون على درسهِ والاقتباس من فوائدهِ فانّهُ يتضمّن في عشرة اقسام وفي ابواب وفصول متعدّدة جلَّ ما يتوقون الى معرفتهِ من واجبات الاكليريكيين ووصف الرتب الدينيّة في الاعياد وغيرها. فنشكر سيادة الحبر الفضال المطران بطرس شبلي رئيس اساقفة بيروت على ارتضائهِ بطبع الكتاب على نفقتهِ كما اننا نهنّئ آباء الرسالة اللبنانيّة الكريمة على ما اظهروهُ من الاريحيّة في معاناة جمعهِ وطبعهِ على احسن صورة . ل. ش

كفاية الطالب وبغية الراغب (في علم النحو)

تاليف القس يوسف الجبيتاوي الراهب الانطوني

الجزء الاوّل كتاب التلميذ. طُبع بمطبعة التوفيق في بيروت سنة ١٩٠٩ (ص ٢٥٠)

وُضع هذا الكتاب على الطريقة التعليميّة المستحدثة التي تجمع بين النظر والعمل فان مؤلفهُ الفاضل قسمَ علم النحو الى فصول وكل فصل الى اسئلة واجوبة يسهل حفظها على الطلبة الاحداث ثم يُتبع ذلك بايضاحات تزيل ما في الاجوبة من المشاكل وفي اثرها تمارين يُصلح المتعلّم اغلاطها ويقوّم معوجاتها وفقًا لما تعلّمهُ في الاجوبة والايضاحات. فهذه الطريقة كما ترى غاية في الموافقة لتعلّم القواعد. فنثني على حضرة المؤلف لحسن

تنسيق كتابه وتمنّى له رواجاً. ونشير الى حضرته في طبعة ثانية ان يضيف الى الكتاب فهرساً واسعاً ويزيد طبعهُ اتقاناً فيكون انتشارهُ اوسع ل.ش

النجوى الى نساء سورياً

بقلم فليكس فارس صاحب جريدة لسان الاتحاد
طبع في المطبعة الحميدية في بيروت ١٩٠٩ (ص ١١٢)

من ينظر الى غلاف هذا الكتاب وعليه صورة المؤلف يجد في ملامحهِ صورة رجل رقيق الطباع لين الشواعر ذا بصر ثاقب يتروّى في خفايا الامور دون ظواهرها . وكتابهُ النجوى شاهد على صدق ملاحظهِ فانهُ رأى كثيراً من الفتيات يتهافتن الى الزواج ولم يعتبرن قبل التقيّد بأغلاله ما يتظهرنَ من الأعباء ليُعددنَ النفس لواجباتهنَّ المقدّسة فكتب هذا الكتاب وضمّنهُ خلاصة الفضائل التي تُطلب ممارستُها من المرأة المسيحيّة بازاء زوجها وقياماً بواجباتها البيتيّة وبتربية اولادها الصالحة لتتسنم في الهيئة الاجتماعيّة ما خصّها الله بهِ من الفرائض. وقد ألبس الكاتب افكارهُ ثوباً قشيباً من المعاني المبتكرة والالفاظ اللينة والتعابير اللطيفة. ولعلَّ فئة من القرّاء يأخذون عليهِ بعض الغلوّ في احكامهِ او بعض التقص في آرائهِ الفلسفيّة الّا انَّ الكتاب بوجه الاجمال صادق اللهجة صائب الآراء. وكان بودّنا لو اتّسع في بيان ضرورة روح الدين في الزواج فانهُ الركن المتين لتوثيق عُرى الحب بين الزوجين والحبل غير المنفصم الذي يعتصمان بهِ في صروف الدهر فيقويان على كل حدثانهِ ل.ش

الدليل الهادي لزيارة قبر الفادي

عرّبهُ عن الايطالية الفونس اطون الرنصو
طبع في المطبعة الوطنيّة بالقدس (سنة ١٩٠٩ ص ٥٥)

هذا الكُتَيّب دليل صغير لزوّار القدس الشريف وُضع بالايطاليّة لمنفعة العامّة والبسطاء. ولمّا كان عدد هؤلاء من الناطقين بالضاد كثيراً فاحسن جناب الاديب الفونس افندي اطون الرنصو بتعريبهِ وطبعهِ في مطبعتهِ ليستفيد منهُ ابناء الوطن. فانَّ الكتاب مع كونهِ مجرّداً من كل مسحة علمية يحتوي ما يحتاج الى معرفتهِ عموم الزوّار الشرقيين ل.ش

الارض في السماء . قصائد ادبية أخلاقية تاريخيَّة

الجزء الاوَّل نظم الاديب امين افندي ظاهر خير الله

طبع بالمطبعة الادبية في بيروت سنة ١٩٠٩ (ص ١٤٣)

ظهر ممَّا وصفنا بهِ سابقًا تآليف جناب الشاعر المبتكر امين افندي ظاهر خير الله انَّ غاية ما يُطلبهُ من شعرهِ بنيان الروح ونشر الآداب وهذا الكتاب من ذاك القبيل دعاهُ الارض في السماء فنظم فيهِ القصائد على طريقة مستحدثة ليرشد الانسان الى ما ينال بهِ في ارضهِ من رغد العيش وطمأنينة الروح . وقد قدَّم على كتابهِ فصلًا مطوَّلًا في الشعر واغراضهِ جعلهُ كتوطئة لمنظوماتهِ التي جعلها ادوارًا متعدِّدة الاشطر ملتزمًا فيها الرويّ على شكل يقارب الموشَّحات وقد جارى في ذلك بعض الانواع التي ابتكرها من قبلهِ معرَّب الالياذة جناب سليمان افندي البستاني . وانَّما آثر هذه الطريقة لما وجد فيها من حسن الوقع في الاذن والانسجام في الكلام والاختصاص ببلاغة المعاني . والارض في السماء عبارة عن ست عشرة قصيدة او موشَّح في نحو مائة وجه تتلاحم وتتوالى وترشد المرء الى اغراض ادبيَّة اخرجها على صورة رمزيَّة وروايات مختلقة عن لسان آلهة اليونان . وعلى رأينا انَّهُ كان بالغ غايتهُ بنوع اقرب لو تحاشى هذه التخيُّلات الميثولوجيَّة التي قلَّما يدرك معانيها الحقيَّة اهل بلادنا فانَّ « زفس وهرمس وباخوس وفنيس وسيريس » بعيدة عن تصوُّر الشرقيين فلا يفقهون معانيها ولو قصد المؤلف لما صعب عليهِ ان يجد في التاريخ الشرقي ما ينوب عنها . وقد اردف جنابهُ هذه المنظومة الاولى بمنظومة اخرى دعاها نطاق الزهرة جعلها ايضًا موشَّحات ذات ادوار على شكل رواية ادبيَّة قام بتمثيلها آلهة الاقدمين . والغاية منها بيان مضارّ المشدّ الذي تنطقت بهِ الاوانس

العقد الفريد

من نظم القوَّال الشهير شديد بن فارس بن غصن من مزرعة النهر

سبق لنا الاقرار بأنَّنا من انصار اللهجة العاميَّة والمنظومات الدارجة الوطنية فاننا نرى فيها من الخواصّ اللسانية والصفات الكتابيَّة ما تروق مطالعتهُ ويمثل للسان اخلاق اللبنانيين ويلمّع بما شاع بينهم سابقًا من الألسنة الآرامية ولاسيما السريانيَّة . وعليهِ نرحّب بهذا الكتاب الجديد الذي طابق اسمهُ مسمَّاهُ فنُظم نظم العقد الفريد وهو

عبارة عن ديوان يتضمّن كل فنون النظم من الشعر العامي كالمديح والغزل والحماسة اجاد فيها الكاتب كما شاء ولولا ضيق المكان وكثرة المواد لانتقينا منهُ اقوالاً تشهد على حكمنا . وغاية ما نطلب من شعراء لبنان عموماً ان يلزموا حدود الادب ويتحاشوا ما لمكنهم كل كلام بذي وينبذوا نبذ النواة ما يمسّ شرف الدين وعرض القريب ل.ش

شذرات

كتب الشيخ يوسف النبهاني نبّهنا في شذرة سبقت الى ما جاء في كتب الشيخ النبهاني من الطعن القادح في الدين النصرانيّ والتشنيع فيه وهو لا يعرف من ديننا ومن تعاليمهِ المقدسة شيئاً فجاءت تآليفهُ كشاهد جليل على ما قال الله عزّ وجلّ في الاسفار الالهيّة عن بعض الذين « يجدّفون على ما لا يعلمون » (اطلب الاية في رسالة يهوذا ١ : ١٠) وقد جاءتنا مجلة المنار الاسلاميّة فألفيناها تقدّر منا هذه الكتب حقّ قدرها . قال صاحبها السيد محمّد رشيد رضا (عدد شعبان ص ٦١٥) :

« ان الكُتُب الحديثة وكذا القديمة المشرّة بالاباطيل والقول في دين الله بغير علم ككتب النبهاني وامثالهِ أكثر من ان تحصى . فهل يُكلَّف مثلي ان يقرأها ويبيّن ما فيها من الخطإ والباطل مها كثر ذلك وتكرّر ؟ ان هذا التكليف ما لا يطاق . . » فتامل

فوز المراكشيين على الاسبان هذا عنوان مقالة لصاحب جريدة الوطن وكلٌّ يعرف انَّ المراكشيين لم ينالوا حتى اليوم فوزاً يُذكر اللهمَّ الّا بعض المناوشات التي فقد فيها الاسبان رجالاً من ضباطهم كما ان الاسبان اوقعوا ايضاً باهل مراكش غير مرّة ومن ثمَّ لم تتغيَّر كثيراً احوال الفريقين وغاية ما نتمنّى ان تنتهي هذه الحرب على سلام لكننا تعجّبنا انَّ منشئ الوطن اتخذ وقيعة جسّتها لهُ مخيلتهُ كوسيلة لتقريع الاسبان بما فعلوهُ سنة ١٦٠٩ بالمراكشيين لمّا اخرجوهم من جزيرتهم فكتب في ذلك كلاماً مطوّلاً وندّد بالاسبان واستفظع اعمالهم بعبارات جارحة وزعم انَّ دولة اسبانية تقهقرت منذ ذاك الوقت الى غير ذلك من المبالغات التي تدلّ على انَّ الكاتب نقل ما نقل دون تروٍّ عن جريدة معادية للاسبان . ولو راجع تاريخاً يوثق بهِ لعلم خطأهُ وأبى ان يروي ما يثير النفور ويهيّج الاحقاد سامحهُ الله . امّا تقهقر اسبانية الذي نسبهُ لخروج المراكشيين من الاندلس فانَّ العلماء ينسبونهُ الى اسباب اخرى سبقت ذلك العهد

الماء المقدَّس والمتنبس ذكرت مجلة المتنبس في بعض اعدادها (١: ٥٩) الماء المقدَّس في كنائس الكاثوليك فزعمت انَّ العلماء فحصوهُ في بعض اجرانهِ فوجدوا انهُ يحتوي الوف الوف من الجراثيم المُمدية وكأن المجلة خافت على ارواح العباد ورأت في عبادة الكاثوليك خطرًا على المجتمع الانساني. ومن المعلوم انَّ الماء المقدَّس لا يضرُّ احدًا فانَّ الداخل الى الكنيسة اذا غمس فيهِ طرف اصبعهِ لا ينالهُ بذلك سوء اذ لا يجرع تلك النقطة من الماء وانَّما يرسم على نفسهِ فقط اشارة الصليب المقدَّس فتمس اصبعهُ بملامسة جبهتهِ وثوبهِ. ثم ان الماء المقدَّس يُمزج بالملح المطهر وكذلك يُفرض على واقف الكنيسة ان يُفرغ الماء في اوقات معلومة ويضح الاجران. وعلى كل حال نشكر مجلة المتنبس على اهتمامها بصحة الكاثوليك ورُتب معابدهم ولو قصرت نظرها الى امور قومها لرأت شواغل أخرى تشغلها عن الماء المقدَّس وخطرهِ الموهوم فلا تبصر القذاة وتنسى الجذع

مذنَّبة هلّي أخذت المذنبة هلّي (Halley) تُشعر بقربها من فلكنا وقد رصدها مرصد كمبردج واخذ صورتها. وعما قليل ستزيد من ارضنا قربًا وتظهر للعيان في الشهور الاولى من السنة القادمة فنفرد لوصفها مقالةً ان شاء الله

أسئلة واجوبة

س: ما راي المشرق في المدارس اللادينية التي كثر عليها الكلام في ايامنا وفي بلادنا؟

المدارس اللادينيَّة اي الخالية من الدين

ج نرتأي ما يرتئيهِ اساقفة فرنسة باجمعهم في رسالتهم التي نشرها البشير في عدديهِ ١٢ و١٦ ت ١ وما ترتئيهِ الكنيسة المقدَّسة في كثير من الاحكام التي اتزلتها على هذه المدارس وما يرتئيهِ كل عاقل يعرف ان ليس ادبٌ بلا دين (اطلب مقالات البشير في اعدادهِ الاخيرة). وذلك لان الغاية من هذه المدارس هي نَزْعُ عرش الاديان وبث روح الكفر رغمًا عمَّا يتظاهر بهِ اصحابها موارية وتقاقًا في انهم يُجلون الدين ويكرمونهُ. ولنا شاهد عارف لا تنكر شهادته ولا تُردّ وهو المسيو

اولار (Aulard) مؤسس المدارس اللادينية في القاهرة وسالونيك وحديثاً في بيروت. قال في احدى مقالاته الاخيرة ما تعريبهُ بالحرف الواحد: « انهُ لعبارة في الازمنة الحاضرة ان لا نُعارض بتعليمنا تعليمهم (اي اصحاب الدين) حفظاً لشروط الحايدة عن الاديان في المدارس فلندع التكلم عن الحايدة المدرسية ولا نقل منذ الان اننا لا نريد ان نخرب الدين لكن فلنقل صريحاً: نريد ان نخرب الدين »

Ne parlons plus de neutralité scolaire. Ne disons plus : nous ne voulons pas détruire la religion ; disons au contraire: nous voulons détruire la religion. (*Discours de M^r Aulard*)

س: سأل الاديب ي. ي. ض. ما هي المناولة الروحية وما هي شروطها وفوائدها

المناولة الروحية

الجواب: هي الشوق والرغبة في قبول جسد الرب ودمه الاقدسين عند تعذُّر قبولها سرياً. ولما كانت الاعمال بالنيات كان هذا الشوق كغيره من الاشواق والرغائب التقويَّة امراً ظاهر لكل متأمل فائدتهُ الروحية العظمى كما ان اشتاق الانسان الى رؤية الله عز وجلّ او قال مع صاحب المزامير: من يعطيني جناحين كالحمام فاطير واستريح. ولما كان سرّ القربان محور حياتنا الفائقة الطبيعة وينبوعها كان الشوق لهذا السرّ من اسمى الاشواق واغزرها فائدة. ولذا نرى الجمع الترينتيني يحث المسيحيين على حضور الذبيحة الالهية كل يوم والاتحاد السري مع المخلص بالمناولة فعلاً او شوقاً على الاقل. وقد حذا الكنيسة والقديسون حذو المجمع المقدس في حمل طالبي الكمال خصوصاً والمؤمنين عموماً على الاكثار من هذه العواطف الشوقية التي من شأنها ان ترفع بالنفس عن الدنيويات وتوحدها اتحاداً قلبياً مع الهها. فهم يعتبرون ان هذه المناولة الروحيَّة اذا ما سبقتها ولحقتها الاعمال التي اعتاد المؤمنون ابرازها — لفظاً او معنى — قبل المناولة السرّيَّة وبعدها من تجديد فعل الايمان والشوق والتواضع والمحبة والشكران وغيرها كانت الثمرة اكمل والتاثير اعظم. وكما ان الانسان الساقط في الخطإ الميت لا يجوز لهُ قبول جسد الرب فعلاً كذلك لا يجوز لهُ ان يشتهيهُ وهو غارق بحالة خطيته ان لم يندم عليها اللهم ان لم يكن هذا الشوق يحتوي ضمناً الندامة المطلوبة. ولا شك ان هذه المناولة تجوز في المعابد وخارجاً عنها وان كانت اكثر فائدة في زمن حضور الذبيحة الخلاصيَّة او امام القربان